

شكراً لمن رفع الكتاب على الشبكة، قمنا بتنسيق الكتاب وتخليص حجمه

مكتبة فلسطين للكتاب المصورة

<https://palstinebooks.blogspot.com>

حصار الأيام الستة أو حرب ٦ يونيو

الدكتور
جمال الدين الرمادي

دار الشعب

حصاد الأيام الستة أو حرب ه يونيو

الدكتور
جمال الدين الرمادي

فہرست

صفحة

0 مقدمة

الباب الأول

حصاد حقد قديم

الفصل الأول

احلام العودة ١١

الفصل الثاني

حرب عقائدية ١٧

الفصل الثالث

זחפ סהיוני

الفصل الرابع

٣٧ محاولة تحطيم القومية العربية

الفصل الخامس

تخطيط الجهة الداخلية ٥٣

الفصل السادس

... .. الآمال التوسعية

الباب الثاني

في المعركة

الفصل الأول

الشرارة الأولى

الفصل الثاني

التجسس وحرب الأثير ٥٩

الفصل الثالث

الزحف المقدس ٨٧

الفصل الرابع

نخب الانتصار ٩١

الباب الثالث

نكسات وانتصارات

الفصل الأول

ماذا تصنعون بالحياة ٩٥

الفصل الثاني

الصلبييون والتتار ١٠١

الفصل الثالث

طرد الهكسوس ١٠٥

الفصل الرابع

من تاريخ أوربا ١٠٩

الباب الرابع

لكي نسقط الحمامة

الفصل الأول

إعادة البناء العام ١١٥

الفصل الثاني

عروبتنا أولاً ١٢١

الفصل الثالث

مواجهة الضغوط الاقتصادية ١٢٥

الفصل الرابع

الجهود الاعلامية ١٣١

الفصل الخامس

النصر مع الصبر ١٤١

مقدمة

لم تكن حرب يونيو عام ١٩٦٧ حربا عفوية ، كما لم تكن ردا على عدوان قائم او دفاعا عن حق ضائع مسلوب كما لم تكن وسيلة لتسوية قضية حرية الملاحة في خليج العقبة بعد ان عادت القوات المصرية الى مواقعها القديمة في شرم الشيخ كما يزعم كثير من دعاة الاسرائيليين ، انما كانت حصاد حقد قديم وامتدادا لسياسة توسعية قديمة عبر العصور ، وتنفيذا لمخططات صهيونية محكمة لشيوخ صهيون ، وتحقيقا لبروتوكولات موضوعة وضعها هؤلاء الشيوخ من أجل القضاء على اعداء الصهيونية ، وانتصار العنصر اليهودي على كافة العناصر الانسانية ، لانهم في عرف أنفسهم شعب الله المختار ، ولا بد أن تتم الحبة الرقطاء - وهي شعارهم الذي يضعونه نصب أعينهم - دورتها فتهلك الشعوب الأخرى تحتها وتقضى عليها قضاء مبرما ، فلا تقوم لها بعد ذلك قيامة ابدية .

لم تكن حرب يونيو اذن حربا دفاعية من جانب اليهود ، انما كانت حربا عدوانية مدبرة ، تحالفت فيها قوى الاستعمار من أجل ازهاق الحق العربي ، وتضييع حقوق العرب في فلسطين بعد ان

شردت آلاف الأسر ، ونهبت مئات الديار ، وارتفعت أصوات اللاجئين تشكو الى ربها بثها وبلواها من ظلم القوم الظالمين ، واوشكت الشعوب الحرة الابية ان تستجيب لنداء هؤلاء المحرومين ، ولدعاء هؤلاء المكروبيين ، غير ان اسرائيل لم تستجب لاي قرار تصدره الأمم المتحدة في جانب هؤلاء المشردين بل اعمنت في غيها وضلالها واوغلت في بغيها وعدوانها دون رادع من عقل أو وازع من ضمير .

وفي هذا الكتاب سوف نحاول ان ندرس مقدمات حرب يونيو كما ندرس المعركة نفسها ، ونتائجها ، والدروس المستفادة منها ، ونعرض على الانظار صورا خفية ظلت مطوية الاسرار ، كما نناقش بعض ماكتب عن المعركة ومنه ماكتبه الصحفيون الروس ايلييايف ، ت كوليسيتشسكو ، ي . بريماكوف عن خطة اسرائيل في المعركة أو ما اطلقت عليه « اطلاق الحمامة » وهو في الواقع لم يكن الا خطة الصقور الجارحة ، وبغاث الطير الجانحة التي تنهش وتفترس ، وتنقض وتقتنص ، كما نناقش ما كتبه راندولف تشرشل وونستون تشرشل ابن وحفيد السياسي البريطاني العتيق عن المعركة في كتابهما « حرب الايام الستة » وكان وونستون تشرشل قد سافر الى مكان الاحداث ليعمل مراسلا عسكريا بينما بقي راندولف في لندن ليتلقى انباء المعركة من ابنه ، فلما وضعت الحرب اوزارها ، وانجلت المعركة اشترك الابن والحفيد في تأليف كتاب « حرب الايام الستة » وقد اعطيا في كتابهما صورة عن المعركة كان جانب منها يسائر الواقع ، ويتمشى مع الحقيقة بينما كان الجانب الآخر مغطى بغلالة من الحقد القديم ، والبغض الدفين للعرب ، ولكننا لا نستطيع ان نرغم الكتاب على الدفاع عن قضيتنا والا كان ذلك نصيرا من الخيال ولونا من الخبال ، فليكتب الكتاب ماشاء لهم ان يكتبوا ، وليدون المعلقون السياسيون كما يحلو لهم ان يدونوا ، وعلى الرأي العام بعد ذلك ان يمحص ما كتب من كتابات ، وما دون من مدونات ، وعليه ان يدرك الخبيث من الطيب ، والحقيقة من

الاسطورة ، والواقع من الكذب والافتراء ، فلقد أصبحت الشعوب
اليوم متنبهة الأذهان ، متفتحة الأذان ، لا ينطلى عليها الكذب ،
ولا يخدعها الافتراء . فان للحق رنيناً صادقاً يتميز به عن كل رنين
وان للخيال نسيجاً مشوهاً يفترق به عن كل نسيج ، وسوف نضع
نصب أعيننا حق الشعب العربى فى الحياة الحرة الكريمة ، وتحطيم
اصفاد الاستعمار قيذاً قيذاً ، والتمسك بمبادئنا الوطنية التى
نحرص عليها حرصنا على الحياة ، بيد اننا نفضل الموت على أن
نتنازل عنها ، فان الشعب العربى على حد تعبير الشاعر العربى
يقابل المنايا كالحات ولا يلاقى الهواناً »

الباب الأول

حصاد حق قد يم

الفصل الأول

أحلام العودة

تراود الصهاينة منذ أقدم العصور أحلام مثيرة حول أرض الميعاد ، ويتوقون الى اليوم الذى يستوطنون فيه أرض فلسطين ، والذى ظل خياله يداعبهم منذ قرون طويلة ومنذ ان ازال الرومان مملكة يهوذا من خريطة الوجود ، والتي كانت عاصمتها « اورشليم » وقد بث الاباء فى الابداء عقيدة ظلوا يتوارثونها جيلا بعد جيل ، وهى ان فلسطين أرض يهودية ، وان اليهود هم أول من استوطنوا أرض فلسطين . وهذه العقيدة تخالف الواقع وتجافى التاريخ ، وتحمل كثيرا من الخلط والشطط ، فأرض فلسطين كانت فى بداية الأمر موطنًا للكنعانيين . بل ان التوراة - وهو كتاب اليهود المقدس - تعترف بأن فلسطين موطن الكنعانيين كما تصف الكنعانيين بأنهم من أصل عربى . ويؤيد الطبرى فى تاريخه هذه الحقيقة التاريخية التى لا تقبل الشك كما يؤيد ابن خلدون هذه الحقيقة .

وله نقف الأمر عند المؤرخين العرب انما اعترف بذلك المؤرخ
الغربي رابوبور « appoport » في كتابه تاريخ فلسطين ، وباتو في
كتابه « التاريخ القديم لمصر وفلسطين » وبرستيد في كتابه « تاريخ
المصريين القدماء » وكانت ارض فلسطين تسمى « ارض كنعان »
وهؤلاء الكنعانيون كانوا يمثلون الموجة الثانية السامية التي هاجرت
من الجزيرة العربية حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م . وامتد سلطانهم حتى
مدينة حماد ، وظلت لهم السيادة حوالى ١٥٠٠ عام .

ويقول رابوبور « يرجع وجود السكان في فلسطين الى عهد
قديم جدا ، يقدره بعضهم بعشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، وقبل ان
يضع اليهود اول قدم لهم في هذه البلاد كان مستوطنا بها اقوام
ذوو حضارة ومجد كالكنعانيين والحثيين والفينيقيين والفلسطينيين
وغيرهم » .

ولم يكن العبرانيون اجداد اليهود من اصل فلسطينى انما كانوا
من البابليين الذين هاجروا من بابل واستوطنوا هذه البقاع من
الارض ، ولم يكونوا من الرواد الأوائل هناك ، انما وجدوا سكانا
اصليين غيرهم ، ولم يكن مجيئهم امرا طبيعيا ، انما كان مجيئهم امرا
مفتعلا ، فقد دخلوا البلاد عنوة وحربا مما جعلهم عنصرا دخيلا في
البلاد ، وجعل مجيئهم امرا غير مرغوب فيه ، ولم يكونوا على قدر
من المدنية او نصيب من الحضارة ، انما كانوا اقواما غير مهذبين ،
تبدو عليهم الغلظة ، والفظاظة ، وتتجلى في اعمالهم القسوة والعنف ،
اقبقوا عشائر متنافرة متناحرة لا يربطها ، ولا يجمعها نظام .

واذا ما كان الصهاينة يشيرون الى دولتهم القديمة في الشمال
او الجنوب وهى مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل ، فان هذه الدولة
اليهودية التى أسسها داود عام ١٠٤٩ ق.م . لم تشمل الا قسما
صغيرا من فلسطين ، ولم تعمر طويلا بل عاشت في الشمال حتى
عام ٧٢١ ق.م . وفي الجنوب حتى عام ٥٨٦ ق.م . اى مدة تتراوح

بين ٢٥٠ ، ٤٥٠ سنة فقط ، ثم تغيرت الأحوال ، وتبدلت الظروف ،
واندثرت ممالك ، وقامت ممالك أخرى والا كانت المناداة بعودة
الدولة القديمة اشبه بالمناداة بعودة الدولة العثمانية مثلا بحدودها
القديمة او الدولة البيزنطية ، بل اشبه بالمناداة بدولة بروسيا مع
الفارق الكبير والبون الشاسع بين الطرفين ، والنفوات الزمنى
الرهيب بين الجانبين ، زد على ذلك أن اليهود عقب نقلهم الى بابل
فقدوا جميع عناصرهم القومية ولم يشاءوا العودة مرة أخرى الى
فلسطين انما آثروا البقاء في البلاد التي نزحوا اليها ، واختلطوا
بالاهالى ، وتقطعت الاسباب بينهم وبين وطنهم المزعوم .

ويقول المؤرخ رابوبور ان اليهود في بداية الامر لم يكونوا يفكرون
في انشاء هذا الوطن المزعوم بل نشأت في بابل منذ القرن السابع
قبل الميلاد فكرة ان يعيش اليهود بلا دولة وبدون ملك ومن غير
ارض لان ذلك ادعى الى قوتهم وسيطرتهم على الشعوب الأخرى ،
وأحرص على مصالحهم واكثر ضمانا لمستقبلهم .

وتمضى السنوات تباعا حتى نصل الى القرن الثامن عشر
فيصدر بيان امريكى عام ١٧٧٥ كما يصدر قرار من المجلس الوطنى
الفرنسى في ٢٩ سبتمبر عام ١٧٩١ ويلتقى البيان الأمريكى مع القرار
الفرنسى في نقطة واحدة وهى ان الاسرائيليين لا يفكرون في تكوين امة
بل يريدون أن يظلوا « طائفة دينية » فحسب .

وعندما ينعقد المؤتمر اليهودى عام ١٨٠٧ يتعرض لهذا الموضوع
في كثير من الصراحة وكثير من الوضوح ، ويعلن فقهاء اليهود على
الملا دون خوف او وجل بأنه ليس لليهود اى حق في المطالبة بفلسطين
وان عليهم أينما كانوا أن يلغوا من اذهانهم ويحذفوا من صلواتهم
وينفوا من اذهانهم كل ماله علاقة بالرجوع الى فلسطين او تأسيس
دولة فيها .

ولكن هذا الضرب من التفكير لم يعجب طائفة أخرى من اليهود فظنوا يعملون على تحقيق مراميهم القديمة ، ولم تكن قرارات مؤتمر باريس الا « حبرا على ورق » .

وكان هناك جانب من المتعصبين الذين يرون ارض الميعاد امرا لا مفر منه ولا محيص عنه ، وانهم في سبيل هذه الارض يضحون بكل مرتخص وغال . وقد طفق هؤلاء المتزمتون يرددون كثيرا من الآثار التي حفل بها الأدب اليهودي ، مثال ذلك : « ان من سار اربعة امتار في ارض فلسطين خصه الله بمكان في الجنة » « واولى بك ان تعيش في صحراء فلسطين الجرداء من ان تعيش في قصر منيف » « ونواب العيش في ارض الميعاد يعادل ثواب طاعة الله في كل ما اوصى به موسى » « ومن كتب له ان يعيش في فلسطين محيت ذنوبه » .

وكان كثير منهم يرحل الى حائط المبكى حيث يذرف الدموع تهتانة في بقايا هيكل سليمان ، وحيث تنهمر العبرات اثناء الصلاة طالبة العودة الى تلك الديار واعادة بناء الهيكل .

وطالما ظل اليهود يرددون آثار عمالقة الأدب الذين حدودهم بعطفهم ، وآثروهم بذكرهم ، ومنهم اللورد بيرون الأديب الانجليزي المعروف الذي قال « ان للحمامة البيضاء عشا صغيرا ، وللثعلب وكرا ، ولكل انسان وطنه الا اليهود فلهم القبور » .

اما دزرائيلي فقد شمل اليهود بعطفه في ادبه ، وجعل قضية اليهود موضوعا من موضوعات اعماله الأدبية وهو روايته « دافيد اكروا » الذي جعل بطلها يقول « تسأليني عن اعز أمنية عندي » وجوابي : هي ارض الميعاد وتساأليني عما يداعب احلامي فأقول : اورشليم وتساأليني عما يستهوي فؤادي فأقول انه الكنيس . . . أجل أريد كل ما فقدناه في سالف الزمان ، وما تهفو اليه نفوسنا ، وما جاهد أبائنا واجدادنا في سبيل استرجاعه ، بلادنا الجميلة وعقيدتنا القدسية ، وعاداتنا البسيطة ، وتقاليدنا القديمة . . . » .

ظل كثير من المتزمطين يرددون أمثال تلك الاعمال الادبية التي تشيد بأرض الميعاد ، وظلوا يلقنونها لابنائهم ويتوارثونها جيلا بعد جيل ظانين بذلك انهم يستطيعون تحقيق هذه الامنية التي تداعب خيالهم وتراود أذهانهم .

ورفض الصهاينة أية بقعة في العالم غير « أرض الميعاد » ولهذا كان ردهم على بريطانية حينما عرضت عليهم أوغندة « ان اوغندة ليست فلسطين » كما رفض الصهاينة أيضا استيطان جزيرة قبرص او غير ذلك من الجزر على أساس الحنين الى أرض الميعاد .

وقد أوضح وايزمان - وهو يناقش وعد بلفور - الجانب الروحي في هذه القضية حين قال : ان الصهيونية حركة سياسية قومية . ولكن لها كذلك ناحيتها الروحية ، وأثرنا بذلك الحاسة الدينية عند اليهود ، وهل هناك ما يصلح لتحقيق هذا كله الا في فلسطين كما قال وايزمان أيضا في مذكرته للورد جيمس آرثر بلفور « ليس من حل لمشكلة اليهود الا بان يقام لهم وطن في فلسطين وان يكون الحجر الاساسي لهذا الوطن في فلسطين هو احياء لغة اليهود وتقاليدهم » .

وهكذا كانت الأحلام تراود خيالهم وتداعب أفكارهم ، وتمتيعهم بأرض الميعاد التي تؤرقهم بالليل وتقلقهم بالنهار ، ويتجلى طيفها بحيال إبصارهم ، ويصرف عنهم لذيد المنام وحلو الكرى ؟!

الفصل الثاني

حرب عقائدية

هكذا كانت فكرة اغتصاب فلسطين ، وشن حرب هجومية على العرب فكرة قديمة تاق اليها الصهاينة ، فاندفعوا في حرب يونيو من أجل تحقيق مراميهم والوصول الى أمانهم . وقد زاد الطين بلة أن كتبهم المقدسة تدعو الى سيادة العنصر اليهودي على كافة العناصر البشرية ، وعلى رأس هذه الكتب « التلمود وهو أفضل في نظرهم من التوراة ، حيث جاء في صحيفة التلمود أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ، ومن درس « المشنا » أقل فضيلة يستحق أن يكافأ عليها ، ومن درس « الجمارا » فعل أعظم فضيلة ».

والتلمود معناه بالعبرية « تعليم » وينقسم الى قسمين : القسم الأول يسمى « مشنا » ومعناه الدرس والمطالعة ، والقسم الثاني يسمى « جمارا » ومعناه الاتمام والتكميل .

وهناك نسختان مختلفتان من التلمود احدهما نسخة التلمود الأورشليمي وقد وضعه أحبار أورشليم في أواخر القرن الرابع الميلادي والتلمود البابلي وقد وضعه رئيس أكاديمية «سورة» بالقرب من بغداد في أواخر القرن الخامس .

وقد ظهر مفسرون كثيرون للتلمود في أوروبا بعضهم في فرنسا وبعضهم في اسبانيا كما ظهر بعضهم في فلسطين ، ونذكر منهم « ربي شلومو يصحافي » مفسر الشريعة الذي ولد في مدينة « ترويز » بفرنسا .

وقد أشاد هؤلاء المفسرون بمنزلة التلمود اشادة كبيرة حتى قال أحد الكتاب الأوربيين ما يلي : « لا بد أن يأتي يوم يرى الناس فيه أن التلمود هو أهم كتاب في العالم » .

ويعتقد اليهود أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار وأن أمه مريم آتت به من العسكري « باندارا » مباشرة الزنا ، وأن الكنائس النصرانية هي قاذورات ، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة ، وأن قتل المسيح من التعاليم المأمورة بها ، وأن العهد مع مسيحي لا يكون عهدا صحيحا يلتزم اليهود القيام به وانه من الواجب ديننا أن يلعن اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل .

وأولاد نوح في رأى التلمود هم الخارجون عن دين اليهود ، أما لليهود فانهم أولاد ابراهيم .

وقال الراي « اليو » : سلب الله اليهود على أموال باقى الامم ودمائهم ، كما جاء فى التلمود « لا تظلم الشخص الذى تستاجر له عمل ما اذا كان من أخوتك ، أما الأجنبى فمستثنى من ذلك » . وقد لحقته الراي « عشي » مثلا لذلك فقال « انى نظرت كرما حاملا نبييا فأمريت خادمي ان يستحضر لى منه اذا ظهر انه ملك لأجنبى » .

والأبسه اذا ظهر انه تعلق يهودي . كما اباح التلمود السرقة من
الاجانب ، فاذا قال الحاخام : لا تسرق فان معنى ذلك عدم سرقة
اليهودي ، اما الاجنبي فسرقته جائزة ، لانهم يعتقدون ان امواله
مباحة ، ولليهودي الحق في الاستيلاء عليها .

وقال : « فننكرن » : اموال المسيحيين مباحة لليهود كالاموال
المتروكة او كرمال البحر ، اول من يضع يده عليها يمتلكها .

كما جاء في التلمود ان مثل بنى اسرائيل كمثلى سيدة فى منزلها
يسنحصر لها زوجها النقود فتأخذها دون ان تشترك معه فى العمل
والنعب .

ويعتبر اليهود كل خارج عن مذهبهم غير انسان ولا يصح ان
تسعمل معه الرافة ، ويعتقدون ان غضب الله موجه اليه وانه
لايلزم ان تأخذ اليهود شفقة به .

وقال الحاخام « اباربانيل » ليس من العدل ان يشفق
الانسان على أعدائه ويرحمهم .

وتعود الراى « كهانا » ان يسلم على الاجانب بقوله « الله
يساعدكم » غير انه يضمّر فى سره السلام لسيدته او لمعلمه
او للاجنبي .

ويقول التلمود « من العدل ان يقتل اليهودى بيده كل كافر
لان من يسفك دم الكافر يقدم قربانا لله » .

ويقول التلمود ايضا « ان الكفار ، كما قال الحاخام اليعاذر »
هم يسوع المسيح ومن اتبعه » .

اما قوله تعالى « لا تقتل » فقد فسرها « ميمانور » بقوله :
ان الله نهى عن قتل شخص من بنى اسرائيل .

وهكذا كانت العقيدة الدينية التى تتغلغل فى نفوس اليهود
تدفعهم الى القتل وسفك الدماء ، وتحطيم كل القيم الأخلاقية ،
وابادة كل فضيلة بين البشر ، وعندما ظهرت الصهيونية كميداً

سياسى ودعوة سياسية على يد هرتزل لم يتخل اليهود عن تلك العبيدة الدينية المتطرفة ، بل صاروا متعطشين الى الدماء ، تواقين الى السفك والقتل والتشريد والتعذيب من اجل ابادة العنصر العربى وسيادة العنصر اليهودى .

وقد بهل الصهاينة من هذه التعاليم حتى الثمالة ، وقد بلغ من سخافة عقولهم ان اعتقدوا ان الجنس البشرى ينقسم الى قسمين يهود وجويم والجويم Goyem فى عرفهم هم الوثنيون والكفرة ، وهم غيرهم من الاجناس كما يعتقدون انهم شعب الله المختار ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى كتابه العزيز « ردا على هذا الزعم الباطل والافك اللعين وهذا الضلال المبين » وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم . بل انتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، والله ملك السموات والارض وما بينهما ، واليه المصير . »

وهكذا يؤمن الصهاينة بانهم ابناء الله واحباؤه ، وغيرهم عباد اوثان وكفار ، وان نفوس الاسرائيليين وحدها مخلوقة من نفس الله وان عنصرهم من عنصره ، والله قد منحهم الصورة البشرية تكريما لهم ، وتعظيما لشأنهم على حين انه خلق غيرهم وهم « الجويم » من طينة شيطانية تختلف اختلافا كليا عن ارواحهم الطاهرة .

ولم يخلق الله الجويم - فى عرف الاسرائيليين - الا لخدمتهم وحتى يسخرهم لخدمة هذا الجنس الاعلى ، ولم يمنح الصورة البشرية للجويم الا بالتبعية لليهود حتى يسهل التعامل معهم ، وحتى يمكن ان يوجد تفاهم بين الطرفين مع الفارق الشديد بين شعب الله المختار ، وغيره من الاشرار .

ولذلك كان لزاما على الاسرائيليين ان يعاملوا غيرهم معاملة البهائم والانجاس ، والآداب التى يتمسك بها الاسرائيليون لاستخدام الا فيما بينهم وبين انفسهم ، فهناك وفاء للعهد ، وحرمة

للقول ، واخلاص في العمل ، ولكنهم في حل من استخدام هذه الآداب فيما بينهم وبين غيرهم من الجويم ، فالخيانة محللة ، وعدم الوفاء بالوعد مشروع ، والفش والخداع والنميمة مباحة ، وهتك الأعراض ، واختلاس الأموال ، وقتل النساء والشيوخ والولدان ، امر لاعقاب عليه ولا غضاضة فيه ، وكذلك شهادة الزور لا اثم فيها اذا استخدمت ضد غيرهم من الاجناس ، بل ان شهادة الزور امر محتم ومتفق عليه لانتقاذ المجرم من التهمة ، وابعاد الشبهة عن المذنب مادام يدين بعقائدهم الفاسدة .

وقد قامت الصهيونية على خلاصة هذه المعتقدات ، ووضعت مخططات توسعية كبرى من اجل ان تنفث سمومها في كل أرجاء العالم .

كما قامت الصهيونية لمواجهة العالم المسيحي فضلا عن الاسلامي ، وظهر كتاب أوربيون يعطفون على هذه الحركة ويؤيدون الصهاينة ضد الاسلام ومنهم لورنس براون في كتابه « طوابع الاسلام » Prospects of Islam الذي قال « ان اليهود لا خطر منهم ، والخطر الاصفر ، اى خطر الصين واليابان لا يهم لان الدول الديموقراطية تقاومه ، واما روسيا البلشفية فهي حليفنا وتحارب في صفنا ، ولكن الخطر الحق هو خطر الاسلام ، لما فيه من الحيوية الكامنة والقدرة على الانتشار والتسلط ، فهو السور المشيع أمام الاستعمار » .

وقبل ان تعلن اسرائيل عن وجودها بخمس سنوات تكلم عنها المستر « جون فان ايس » Ess فقال انها ستشمل ارض الجليل ، وتصل الى شرق الاردن وخليج العقبة .

فالعداوة للعالم الاسلامي عداوة قديمة متغلغة في الصدور ، وكذلك تقوم عداوة الصهاينة للمسيحية والمسيحيين .

فان المسيح عندما رآهم متكبرين جاء الى العالم فقيرا ، يحب الفقراء ، وينصر الضعفاء ، ويقتطع من الاغنياء ، ولما رآهم مفتخرين

بالمدينة العظيمة « اورشليم » وبهيكل سليمان تنبأ عن خراب اورشليم كما تنبأ عن خراب الهيكل .

ولما رأهم يفتخرون بكونهم اصحاب الشريعة والناموس وبخهم الله على انهم افسدوا الشريعة والناموس ، وتقاليد آبائهم الاولين وقال لهم : انكم تعلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون » .

ولما رأى احتقارهم للعشارين قص عليهم مثل الفريسي والعشار والفريسي هو رجل يهودى متمسك متكبر ، والعشار في نظره رجل سارق ظالم قال لهم السيد المسيح ان اثنين دخلا الى الهيكل ليصليا احدهما فريسي والآخر عشار ، أما الفريسي فوقف في كبرياء وقال : « اشكرك يا رب انى لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة ، اصوم يومين في الاسبوع ، وأعشر جميع اموالى » أما العشار فوقف في انسحاق قلب لا يجزؤ أن يرفع عينيه الى السماء وقرع صدره قائلا : « ارحمنى يا رب فانى خاطيء » فخرج هذا العشار مبررا دون ذلك .

وقد أراهم ان ذلك الفريسي المتكبر المفتخر بنفسه الذى يعتبر انه افضل من غيره لا يمكن لمثل هذا أن تصل صلاته الى الله ، بينما قبلت صلاة العشار الخاطيء المنكسر القلب المتواضع أمام الرب . كل هذا ليربهم انه ليس بالعنصرية يخلص انسان ، لانه يهودى ، وانما يخلص بالايمان السليم ، والأعمال الصالحة ، وبغير ذلك فيهوديته لا تنفعه شيئا .

وقد مدح السيد المسيح المرأة الكنعانية ، وبنو كنعان من العرب فقال لها « عظيم هو ايمانك » متى ٢٨ : ١٥

وقد وبخهم السيد المسيح بقوله : اقول لكم ان كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب ، ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات واما بنو الملكوت « أى اليهود » فيطرحون الى

الظلمة الخارجية ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . متى : ٨ :
١٢٠ ١١ .

واستمطر المسيح عليهم وعلى جيلهم عاقبة شرورهم واثمهم
وشرور آبائهم وآثامهم « لئى يأتى عنىم كل دم زكى سفك على
الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه
بين الهيكل والمذبح » . « الحق افول لكم ان هذا كله يأتى على هذا
الجيل » متى ٢٣ : ٣٥ ، ٣٦ .

كما اشهد الجموع على معصية الجيل واصرارهم على المضى فى
تمردهم وتنبأ بالعقاب الذى كان حريا ان ينزل بأورشليم وبحراب
بيت الرب فيها « يا اورشليم يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين
اليها . كم مرة اردت ان اجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها
تحت جناحها ولم تريدوا ، هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » متى ٢٣ :
٣٧ ، ٣٨ .

ولم ينج المسيح من تعذيب اليهود له دون رحمة ودون
شفقة ، اذ خرج اليهود ورؤساؤهم المسمون بالفريسيين وتساوروا
على السيد المسيح ليقتلوه متى ١٢ : ١٤ ، وذلك لان المسيح
اغاظهم بقوله « بمن اشبه هذا الجيل ، يشبه اولادا جالسين فى
الأسواق ينادون الى أصحابهم ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا ،
ونحنا لكم فلم تلطموا » متى ١١ : ١٦ ، ١٧ .

وقد كشف السيد المسيح نواياهم الخبيثة وخططهم الفادرة ،
وخداعهم وتضليلهم وزعمهم التقى وهم فى الضلالة يعمهون فقال
لهم : من الثمرة تعرف الشجرة يا اولاد الافاعى كيف تقدر ان
تتكلموا بالصالحات وانتم أشرار ، الانسان الصالح من الكنز
الصالح فى القلب ، يخرج الصالحات ، والانسان الشرير من الكنز
الشرير يخرج الشرور متى ١٢ : ٣٣ ، ٣٥ .

وحفل الاصحاح الثالث والعشرون من « انجيل متى » بوصف
رائع لليهود على لسان السيد المسيح فقد خاطب يسوع الجموع

قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب اعمالهم لا تعملوا لانهم يقولون ولا يفعلون ، فانهم يحزمون احمالا ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون ان يحركوها بأصبعهم ، وكل اعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس ، فيعرضون عصائبهم ويعظمون اهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الاول في الولايم ، والمجالس الاولى في الجامع ، والتحيات في الاسواق : وان يدعوهم الناس سيدى سيدى .

ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تطوفون البحر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم اكثر منكم مضاعفا .

ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون والمراءون لانكم تتقون خارج الكأس والصحفة وهما في الداخل مملوءان اختطافا ودعارة ، ايها الفريسي الأعمى نق أولا داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما أيضا نقيا .

ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تعشرون النعنع ، والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان ، وكان يجب وينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك ، ايها القادة العميان الذين يصفون البعوضة ويبلعون الجمل .

وهكذا كان المسيح يرى اليهود قوما ظالمين لسوء اعمالهم ونخسه تصرفاتهم فتأصلت العداوة في نفوسهم حياله وحيال العالم المسيحي أجمع ومع ان الديانة المسيحية لا تضطهد اليهودية كدين سماوى . انما تنتقد اعمال الكذابين والمرائين فقد عملت الصهيونية على زيادة الجفوة بين المسيحية واليهودية كما حاولت استغلال وثيقة التبرئة من أجل تحطيم العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والعرب وقد صرح على اثر ذلك مصدر فاتيكانى بأن دولة الفاتيكان مهمة جدا بالاحتفاظ بعلاقاتها الوثيقة مع المسلمين في العالم

العربي وهي العلاقات المبنية على الفهم العميق المتبادل ، وبان دولة الفاتيكان برئاسة البابا بولس السادس تقدر العرب تقديرا كبيرا ، وبان دولة الفاتيكان تؤيد حقوق اللاجئين الفلسطينيين العرب وتؤمن بشدة بان هذا الشعب يجب أن يعود الى وطنه . وبان دولة الفاتيكان تعتبر الصهيونية منظمة سياسية لها مطامع مؤذية ، ودولة الفاتيكان لا توافق على تصرفات الصهيونيين في انحاء العالم .

واشار هذا المصدر الفاتيكاني الكبير الى وثيقة التبرئة عن المجمع المسكوني والتي تحدد علاقة الكنيسة المسيحية بالديانة اليهودية فقال : ان دولة الفاتيكان قد احتجت بشدة على اسرائيل عندما استخدمت هذه الوثيقة في اذاعتها وصحفها لأغراض الدعاية ، وان فكرة هذه الوثيقة ليس لها أى هدف سياسى وانها لا تبرئ اليهود من مسئولية صلب المسيح .

وهكذا كانت الاديان لعبة في أيدي الصهاينة من أجل تحقيق مطامعهم وتنفيذ خططهم فلا غرو ان يصف رب العالمين أجدادهم الاولين بقوله في سورة الفاتحة « غير المغضوب عليهم » ، فقد اجمع المفسرون على أن المغضوب عليهم هم اليهود .

كما اشار الله عز وجل في كتابه العزيز الى نفاقهم وريائهم ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ويدعون الناس الى الايمان وهم غير مؤمنين فقال تعالت صفاته وجلت آياته « أأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ، واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » ، سورة البقرة ٤٤ - ٤٦ .

ورغم ان الاسلام ينظر الى اليهودية نظرة سمحة كريمة لانه دين لا يدعو الى الاضطهاد ، ويكفل حق العبادة لغير المسلمين ، ان الصهاينة شنوا حربا شعواء على الاسلام والمسلمين ، وتبليورت هذه العقائد الدينية في اتجاهاتهم السياسية ، حتى فدا الصراع

بينهم وبين العرب صراعا دينيا في نظرهم يبدلون من أجله النفس والنفيس . بل انهم شعروا بأنهم جنس شاذ مفقود بين العالم المسيحي والعالم الاسلامي ، فلجأوا الى الرياء ، والنفاق ، ومداهنة القادة والزعماء ، من أجل اجتلاب العطف والرضاء ، والحصول على المنح والاعانات ، والتزود بالأسلحة والمعدات ، ووسيلتهم الى ذلك العطف والاستكانة ، والخضوع والركوع والزفراء والدموع . كما ان وسيلتهم أيضا المال ، فالمال في رأيهم المحرك الأول للشعوب ، ومتى قبضوا على اعنة الاقتصاد في دولة من الدول استطاعوا خنقها اقتصاديا عند اللزوم ، كما ان وسيلتهم كذلك النساء ، فان المرأة تستطيع بما ملكت من أسلحة الجاذبية والاغراء ان تستولي على الأسرار وتقشع الاستار ، وتسرق مفاتيح الحصون ، وتقوم بدور كبير في جمعية « عشاق صهيون » (١) .

● جمعية يهودية سبقت الحركة الصهيونية وكانت تهدف الى اغواء كافة العبرية والدموية الى الهجرة الى فلسطين ، واستعمار اراضيها .

الفصل الثالث

زحف صهيوني

كانت جمعية « عشاق صهيون » ارهاصا للحركة الصهيونية الكبيرة فقد عقدت مؤتمرين أحدهما في عام ١٨٨٤ والثاني بعد المؤتمر الأول بثلاث سنوات أي في عام ١٨٨٧ وتقرر في هذين المؤتمرين تمويل المهاجرين بالمال لشراء أراض جديدة ، وأنشئت فروع كثيرة في مختلف بلدان أوروبا لهذه الجمعية فكان لها فرع في روسيا وفرع في رومانيا وفرع في النمسا كما أنشئت جمعيات أخرى على غرارها منها جمعية « كاديناج » التي تولى رئاستها صحفي يدعى « بيرنوم » ويرجع إليه الفضل في ابتكار الحركة الصهيونية ، أما في ألمانيا فقد تكونت جمعية أخرى آذرت جمعية « عشاق صهيون » ، في مهمتها برئاسة « ليوموتسكين » وكان من أعضائها « حايم وايزمان » الذي أصبح فيما بعد أول رئيس

لدولة اسرائيل . كما تألفت جمعيات اخرى في انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية .

ثم عقد اول مؤتمر صهيونى عالمى لليهود فى مدينة « بال » فى سويسرة فى شهر اغسطس عام ١٨٩٧ وفى وضع اليهود اسس المنظمة الصهيونية العالمية وبرنامج الحركة الصهيونية التى تتمثل فى استعادة ارض الميعاد او مملكة اسرائيل بحدودها المزعومة . وقد قرر الصهيونيون على اثر ذلك المؤتمر ايقاظ الوعى القومى بين يهود العالم ، والقيام بالسعى لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق اهداف الحركة الصهيونية الكبرى التى يحلمون بها ويسعون اليها، ومنذ ذلك التاريخ أصبح لفظ « صهيونى » يطلق على كل من يعتنق المبادئ التى وضعت فى هذا المؤتمر ويكتب سنويا بمقدار « شيكيل واحد » أى ما يعادل نصف دولار .

وفى صيف عام ١٨٩٨ عقد المؤتمر الثانى فى مدينة « بال » ايضا برئاسة هرتزل وحضره ٣٤٩ مندوبا كان بينهم عدد من رجال الدين اليهودى حتى يعطى هرتزل للمؤتمر طابعا دينيا ، ووقارا رسميا ، وأصدر هذا المؤتمر مجموعة من القرارات كان على رأسها تأسيس شركة كبرى للاستعمار اليهودى فى فلسطين وتشجيع الجمعيات العاملة فى نشر اللغة العبرية بين يهود العالم . وقرر المؤتمر ايضا تنظيم الدعاية الصهيونية حيث أدرك أهميتها فى اقناع العالم بوجهة نظر المؤتمر ، وتركيز شراء الاراضى فى فلسطين وحدها مع بناء مستعمرات للعمال فيها .

وفى عام ١٩٠٠ عقد المؤتمر الرابع برئاسة هرتزل فى مدينة لندن حيث رأى المؤتمر ضرورة استنهاض همة بريطانيا لتأييد الحركة الصهيونية ، وكما تضاغط على الدولة العثمانية من أجل تمكين اليهود من شراء الاراضى فى فلسطين وقد أقر هذا المؤتمر مشروعاً بتأسيس الصندوق القومى اليهودى « كيرن كايبت » .

تم اتصال هرتزل على اثر ذلك بالسلطان عبد الحميد ، وحاول ان يجلبه الى صفه بغية تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين وابتغاء اعطائهم نوعا من الاستقلال الذاتى بيد ان هرتزل فشل فى هذا المجهود اذ تنبه العرب لما يحكيه من مؤامرات فى الظلام من اجل الاعتداء على حقوقهم المشروعة فى فلسطين .

وتوفى هرتزل عام ١٩٠٣ وكادت الحركة الصهيونية تخدم انفاسها لولا ان الاستعمار اخذ يناصرها ووهب لها الحياة مرة اخرى .

وظهرت نوايا الاستعمار المنحازة الى اسرائيل فى شتى التصرفات الرسمية وغير الرسمية اذ قدم « هربرت سبنسر » من اقطاب الصهاينة الانجليز مذكرة الى الحكومة البريطانية اثناء الحرب العالمية الاولى وعرض فيها مشروعا لتأسيس دولة يهودية فى فلسطين تحت اشراف بريطانيا ، ياوى اليها ثلاثة او اربعة ملايين من اليهود المشردين فى اوربا .

واتضحت نيات الاستعمار واضحة جلية للعيان فى هذه المذكرة التى ختمها الداعية الصهيونى « هربرت صمويل » بقوله :
« وبذلك نكون قد اقمنا بجوار مصر ، وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا » .

واستطاع اليهود انتزاع وعد بلفور فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ بعد ما تمكن وايزمان بعد وفاة الداعية « هرتزل » من الاتصال بزعماء الانجليز ، واقتنعهم بانهم اذا ما وعدوا اليهود بفلسطين لتكون وطنيا قوميا لهم اجتذبوا لامحالة قلوب يهود العالم ، وقد يحدث يهود المانيا امرا يرغبون فيه حكومة المانيا على انتهاء الحرب او التسليم .

والغريب ان لورد بلفور منح الوعد لليهود دون اى سند قانونى او حجة مشروعة ، فلم تكن فلسطين من املاك بريطانيا حتى يحق له ان يتصرف فيها فهو كمن يهب مالا ليس لديه فيه شيء !

وجاء في التصريح : « تعتزم الحكومة البريطانية اقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل كل ما لديها من جهود فى سبيل تحقيق هذه الغاية علما بأن حكومة جلالة الملك لن تقوم بشئ من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا بحقوق اليهود وأوضاعهم السياسية الذين يعيشون فى أى بلد آخر » .

وبذلك اعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان من لا يملك ومن لا يستحق بالقوة والخديعة أن يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه فيما يملكه وفيما يستحقه .

وتلك كما- قال الرئيس جمال عبد الناصر فى رسالته الى الرئيس الراحل جون كنيدي « وهى الصورة الحقيقية لوعده بلفور الذى قطعه بريطانيا على نفسها واعطت فيه من ارض لا تملكها وانما يملكها الشعب العربى الفلسطينى عهدا باقامة وطن يهودى فى فلسطين » .

وقد اذكى هذا الوعد همة الصهاينة وضاعف جهدهم فى سبيل الصمود امام العرب .

وقد جرى حديث فى الرابع من ديسمبر عام ١٩١٨ بين اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا وايزمان وصرح الاخير على اثره بقوله كما جاء فى مجموعة الوثائق الصهيونية التى عثر عليها :

« وقد بينت للورد ان اقامة مجتمع يضم اربعة او خمسة ملايين من اليهود منها ان ينتقلوا بطريق الاشعاع الى الاجزاء الباقية من الشرق الادنى وان يسهموا اسهاما ضخما فى اعادة بناء تلك البلاد التى كانت مزدهرة فى يوم من الايام » كما يضى وايزمان قائلا للورد بلفور :

- « لكن هذا العمل يتطلب اول ما يتطلب تنمية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين تنمية حرة وغير مقيدة بحيث تتمكن من اسكان

أربعة ملايين أو خمسة ملايين من اليهود في فلسطين في غضون جيل واحد ، فتجعل من فلسطين بلادا يهودية في ظل التاج البريطانى » .

ثم يقول وايزمان بعد ذلك « وقد أقنعت اللورد بان ما يسمى بالاستعمار ليس الا الصهيونية بعينها » .

ويشرح لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية في تلك الآونة ، الظروف والملايسات التى أحاطت باعلان هذا الوعد Balfour Declaration فيقول « كان اعلان تصريح بلفور امرا اقتضته موجبات الدعاية ، وكان الرومانيون قد سحقوا ، كما كانت معنويات الجيش الروسى قد اخذت في الانحلال ، ولم يكن فى وسع الجيش الفرنسى وقتذاك أن يقوم بهجوم واسع المجال ، وكان الايطاليون قد فشلوا فشلا مروعا فى موقعة « كابوريتو » كما كانت الفواصات الألمانية قد أغرقت ما تبلغ جملته ملايين الاطنان من السفن البريطانية : ولم تكن الفرق الألمانية قد وصلت بعد الى الخنادق وفى تلك الساعة الحرجة ساد الاعتقاد بأن اكتساب عطف اليهود أو مناوآتهم قد يكون له اثره الفعال فى توجيه كفة الميزان ، نحو قضية الحلفاء أو ضدهم ، ثم ان عطف اليهود من شأنه على الأخص أن يضمن معاضدة اليهود فى أمريكا ، ويجعل من الصعب على المانيا تخفيف قواها العسكرية ، وتحسين وضعها الاقتصادى فى الميدان الشرقى » .

واضاف رئيس الوزارة البريطانية قائلا : « ان الزعماء الصهاينة قطعوا لنا وعدا اكيدا قال انه اذا أخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فاتهم سيعملون كل ما فى وسعهم لابقاظ عاطفة اليهود فى كافة انحاء العالم وتاليبهم لمعاوضة قضية الحلفاء ، وقد بروا بوعدهم هذا » .

كما صور ارنولد توينبى في كتابه « دراسة في التاريخ » هذه الظروف التاريخيه بقوله : لقد اظهرت الحرب العالمية الاولى عاملا سياسيا في الميدان وهو التنافس بين المتحاربين على كسب ود اليهودية العالمية ، فان كسب التأييد اليهودى بل واكثر من ذلك تجنب العداء اليهودية كان امرا على جانب عظيم من الاهمية للفريقين ومع ان تحرر اليهود النفسى من مفاهيم فى الغرب لم يكن قد تم ، فان تحررهم الاقتصادى والسياسى فى ذلك الوقت كان قد قطع شوطا بعيدا فى تقدير اصوات اليهود ومنحها وزنا هاما بل وربما حاسما فى ميزان القوة الدولى المضطرب .

لقد اصبح اليهود الآن قوة يحسب حسابها فى الحياة السياسية القومية لدى دول وسط اوربا وغربها على السواء وفى الولايات المتحدة كانت قوتهم لا تزال على مدى اوسع كثيرا ، وقد بلغ نفوذ يهود امريكا حدا عظيما فى اعين المتحاربين فى اوربا الذين بداوا يتحققون ان الكلمة الاخيرة فى النزاع ستنتطق بها امريكا وان هذه الكلمة الامريكية الاخيرة قد تتأثر بصورة ملحوظة بأراء المواطنين من يهود امريكا .

هذه هى الظروف التى احاطت بصدور وعد لورد بلفور لليهود : وعندما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ واسفرت عن انتصار بريطانيا وحلفائها بدأت الدول الكبرى فى عملية توزيع الفنائم وتقسيم التركة ومناطق النفوذ ، وحضر امام مؤتمر الصلح وفد يهودى كان من بين اعضائه البارزين حايم وايزمان الذى اعلن صراحة عزم اليهود على اقامة وطن قومى لهم فى فلسطين .

وفى ابريل عام ١٩٢٠ وقعت فى سان ريمو معاهدة الصلح مع تركيا وادمج فيها وعد بلفور حيث اعتبر جزءا لا يتجزأ من المعاهدة . وكان اول عمل اقدمت عليه بريطانيا هو تعيينها هربرت سمويل مندوبا ساميا على فلسطين فى يوليو عام ١٩٢٠ فتسلم

الادارة في ظل الحكم العسكرى . وظل ينفذ المخططات الصهيونية على اوسع نطاق .

واعتبر هربرت صمويل اللغة العبرية لغة رسميه بالاضافة الى الانجليزية والعربية كما سهل الهجرة الى فلسطين فكان اليهودى يتسلم جواز سفر فلسطينيا وهو لا يزال فى المايا او بولنده او امريكا ويستطيع ان ينتقل بمقتضى هذا الجواز الى فلسطين حتى يفتدو فلسطينيا . كما سهل لليهود شراء الاسلحة واقتطاع الاراضى واسس الوكالة اليهودية واعتبرها ممثلة لليهود وناطقة باسمهم وكانت فى واقع الامر حكومة يهودية ذات اجهزة كاملة .

وقد استمر انتداب هربرت صمويل خمسة اعوام قدم فى نهايتها تقريراً مفصلاً عما انجزه من اعمال فى صالح اليهود ومنها ان الاراضى التى كانت فى حوزة اليهود قد تضاعفت مساحتها وانه سمح بانشاء شركة كبرى براسمال قدره مليون جنيه لتوليد الكهرباء .

وبعد انتهاء فترة انتداب المندوب السامى هربرت صمويل تعاقب عدد آخر من المندوبين السامين الذين كان هدفهم الاول والاخر هو تهويد فلسطين بأدق معانى هذه الكلمة ، واوسع مدلولات هذا اللفظ .

وقد ثار الشعب العربى فى فلسطين من جراء هذه المؤامرات على حقوقه وقامت مظاهرة حامية فى القدس فى ابريل عام ١٩٢٠ كما اندلعت ثورة اخرى فى يافا فى مايو عام ١٩٢١ واستمرت اسبوعين وانقض العرب خلالها على مركز الهجرة الصهيونى وعلى بعض المستعمرات اليهودية بين يافا وطولكرم .

وفى ٢٣ اغسطس عام ١٩٢٣ شبت ثورة عارمة استمرت خمسة عشر يوما واشتد غضب العرب وهم يرون افواجا تلو افواج تصل الى فلسطين من يهود المانيا واوروبا الشرقية .

واشتدت ثوره غضب الشعب العربى فى المظاهرة الكبرى التى وقعت فى القدس بعد صلاة الجمعة فى يوم ١٢ اكتوبر عام ١٩٣٣ وقد ظلت هذه الثورة ستة اشهر كاملة ، واستشهد فى هذه الفترة اكثر من الف شهيد .

وقد اعلنت انجلترا انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين كما قررت الانسحاب منها فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ بعد ان مكنت اليهود من احتلال معظم مدن فلسطين ومساحات شاسعة من اراضيها زادت كثيرا عن الاراضى المخصصة لليهود فى قرار التقسيم . وعلى اثر ذلك اعلن اليهود انشاء دولة اسرائيل وسرعان ما اعترفت الولايات المتحدة الامريكية بانشائها وقال الرئيس الامريكى هارى ترومان عقب اعلان دولة اسرائيل « انى أتقدم الى العالم بشعب يستاهل الحرية والحياة انا نعتز باسرائيل ونفخر باننا كنا اول من مد لها يده ، واقنعنا الأمم المتحدة بوجوب اقرار مبدأ التقسيم ، انا نوافق على اسرائيل بحدودها التى هيئتها الأمم المتحدة فى قرارها ، ونرى انه لا يجوز تعديل هذه الحدود الا بموافقة اسرائيل ، انا نتطلع الى اليوم الذى تجلس فيه اسرائيل معنا فى الأمم المتحدة ، وناخذ على عاتقنا مساعدتها فى النهوض باقتصادها ونود أن نعيد النظر فى أمر حظر الأسلحة حتى نهىء لاسرائيل فرصة الدفاع عن النفس ، اننى اعاهد نفسى على شذ ازر اسرائيل حتى تصبح بلدا كبيرة حرة مستقلة قادرة على كفاية نفسها » .

وغنى عن البيان ان الولايات المتحدة الامريكية كانت ملتزمة بتحقيق ذلك كله لاسرائيل ، وقد وفّت بوعدها ازاء اسرائيل وقد كتب الأستاذ عباس محمود العقاد على اثر ذلك يقول « لقد اعترف الرئيس ترومان باسرائيل قبل ان ينقضى ربع ساعة على اعلانها : وكانت دولة لاتعرف لها حدود ولا رعية ونحن نعتقد ان « ترومان » يهودى اصيل وليس قصارى الامر انه نصير محب

لليهود ، نعتقد ذلك ونستند فيه الى قرائن قوية يشف عنها اسمه واسماء أسرته كما تشف عنها نشأته وبعض أخباره التي دونها مترجموه . فاسم ترومان من أسماء اليهود الأولى ، واسم ترومان الأول هارى ، واسم جده سولون ، واسم جدته لأمه هاربيت ، وكانت تسمى ذات الرأس الأحمر وهو لون من ألوان الشعر يكثر عند اليهود .

واسم زوجته بيس Bess وهو ترخيم اليصابات في أسماء التوراة ، واسم أبيها ديف Dave وهو ترخيم دافيد ، وقد كان عمله قبل العشرين « مسك الدفاتر » وكان شريكه في الكانتين الذي إداره يهوديا يسمى « جاكسون » وقد ترجم حياته اثنان في كتاب سمياه « هذا الرجل ترومان » فقلا في أخباره ان أحب أسفان التوراه اليه سفر الخروج وهو الذي يعتبره اليهود كتاب الخلاص ويجعلون الخروج من مصر لهذا السبب أكبر الأعياد .

ووقفت خلف ترومان جمعيات يهودية كثيرة أعلنت اعترافها بالدولة الجديدة ، وقدم اليها كثير من أثرياء أمريكا الإهانات والهبات وطاف عدد كبير من الفنانين يجمعون الاكتتابات لإسرائيل .

واجتمعت على اثر ذلك اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وأصدرت قرارا في ١٢ ابريل ١٩٤٨ بالتدخل بالجيش العربية لانتقاذ فلسطين ، وحددت يوم ١٥ مايو يوم اعلان انشاء إسرائيل موعدا لحركة هذه الجيوش .

ونشب قتال مرير بين العرب واليهود ، وكانت الجيوش العربية قاب قوسين أو أدنى من تل أبيب لولا تدخل مجلس الأمن بإيعاز من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وقرر إيقاف إطلاق النار بين الطرفين المتحاربين .

وقد قامت إسرائيل بخرق شروط الهدنة بين العرب وإسرائيل مرات متوالية وعززت إسرائيل قواتها العسكرية وجلبت الكثيرين

من المتطوعين والجنود المحترفين واستؤنف القتال مرة أخرى ، ثم
تقرر إيقاف إطلاق النار ، حتى تم توقيع هدنة دائمة مع اليهود لم
يحترم الاسرائيليون نصوصها بل أهدروا موادها بخستم وعدوانهم .
وقد كتب الرئيس جمال عبد الناصر في مذكراته أثناء حرب
فلسطين ما يلي :

« كانت شعوبنا جميعها تبدو في مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة
محبوكة أخفت عنها عمدا حقيقة ما يجري وضللها حتى عن وجودها
نفسه ، وكنت موقنا من أن الذي يحدث لفلسطين كان يمكن أن
يحدث لأي بلد في هذه المنطقة ما دام مستسلما للعوامل والعناصر
والقوى التي تحكمه الآن . ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك في
فلسطين وعدت الى أرض الوطن كانت المنطقة كلها في تصوري قد
أصبحت كلا واحدا ، وأيدت الحوادث التي جرت بعد ذلك هذا
لاعتماد في نفسي ، كنت أتابع التطورات فيها فأجده اصداء
تتجاوب مع بعضها البعض ، فالحادث يقع في القاهرة فيقع مثيل
له في دمشق غدا ، وفي بيروت وعمان وبغداد وغيرها ، ومن هنا
جاء لنا القول أن فلسطين كانت عاملا في بعث القومية العربية » .

وهذه الحقيقة التي أوضحها جمال عبد الناصر هي التي أقلق
مضاجع اسرائيل وجعلتها تفكر في أمر هذا التيار الجارف وهذا
السيل العارم الذي تدفق بين الشعوب العربية وهو القومية
العربية . التي ابت الدلة والاستكانة وتطلعت الى يوم الخلاص
وساعة التحرير بصبر وشوق شديد .

الفصل الرابع

محاولة تحطيم القومية العربية

قلت في مطلع هذا الكتاب أن حرب يونيو لم تكن حربا عفوية جاءت مصادفة واعتباطا كما نشبت قدرا وقضاء ، انما كانت حربا مدبرة ترمى الى اهداف بعيدة ، وتستهدف الى تحقيق نوايا خبيثة . ونضيف هنا ان هذه الحرب حاولت أن تقضى على تكتل الشعوب العربية في هذه المنطقة من العالم واعنى بها منطقة الشرق الاوسط كما حاولت أن تثير جفوة بين البلاد العربية ، وتقيم خلافا كبيرا بين قادة وساسة هذه البلاد ، وغاب عن اسرائيل في عدوانها أن القومية العربية حقيقة واقعة منذ فجر التاريخ لا سبيل الى تجاهلها او انكارها ، والروابط التي تربط الامة العربية منذ القدم وثيقة العرى ، وهناك مقومات مادية وهى البيئة الجغرافية والجنس والمكان ، ومقومات معنوية وهى اللغة والعادات والتقاليد والحكومة والدين . وقد كانت اللغة العربية ولا تزال رابطة متينة تدعم القومية

العربية كل التدعيم ، فبها نزل القرآن الكريم ، وبها كتب تاريخ العرب ، وبها نظم شعراء العرب منذ أعمق العصور الجاهلية أشعارهم وخطب خطبائهم ، ونثر كتابهم ، وحررت مؤلفاتهم وقد سهلت وحدة اللغة التفاهم بين الشعب العربى فى الوطن العربى كله . وقد كانت فى سويسره ثلاث لغات كما كانت فى بلجيكا لغتان ، فكان هذا الاختلاف اللغوى مدعاة لانهايار القوميات فى تلك البلاد على العكس من الأمة العربية التى سادت فيها اللغة العربية ، الفصحى ، فكانت اللسان الناطق بمشاعرهم وخواطرهم وأفكارهم وكانت لهم ثقافة واحدة .

وللقومية العربية امتياز على القوميات القديمة العهد كالصينية والهندية وذلك أن هاتين القوميتين تنقصهما الوحدة التى تمتاز بها القومية العربية من ناحية اللغة على الأقل اذا لم نقل من ناحية طراز التفكير والشعور العام الاجتماعى ايضا .

وقد استطاعت اللغة العربية أن تنتصر على كل اللغات المنتشرة فى العالم العربى بعدما كانت الدواوين تكتب باللغة اليونانية أو القبطية فى مصر ، كما كانت تستخدم اللغة اليونانية فى الشام واللغة الفارسية فى العراق ، وأصدر الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان أمرا باستخدام اللغة العربية فى شتى أعمال الدواوين فكان هذا الامر سببا فى توطيد اللغة العربية فى اركان الوطن العربى كما دفع الناس الى تعلمها ودراستها لأن كل فرد يتصل بأى نوع من انواع المعاملة مع دواوين الدولة سواء فى بيع أو شراء ، أو وقف أو ما الى ذلك فكان يرى أن من الضرورى تعلم هذه اللغة حتى يستطيع أن يساير ركب القومية العربية من جهة ويفهم ويتعامل مع المسئولين من جهة أخرى .

وقد كان لانتشار اللغة العربية اثر كبير فى تثبيت دعائم القومية العربية فوق أن الجنس البشرى الذى انتشر فى شتى أرجاء الوطن

العربى جنس واحد ، وقد تبعت الحملات التحريرية العربية هجرات متواصلة ، وقد استقرت هذه الهجرات فى مصر والشام وفى غيرهما من الاجزاء فى شبال افريقيا ، وانساحت فى مختلف انحاء الوطن العربى ، وكانت هذه الوفود المهاجرة تستقر فى جوانب الوديان الخصيبة ثم لم تلبث أن توغلت فى هذه الوديان واندمجت مع الاهالى ، وتزاوجت وتناسلت وكثرت أعدادها بصورة واضحة .

ورغم أن العرب فتحوا فارس وما يليها شرقا ، فان فارس لم تصبح أرضا عربية ، انما وقفت الحدود العربية عند العراق ، وخليج البصرة شرقا ، والمحيط الاطلسى غربا ، وقد فتح العرب الأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط بيد أن هذه البلاد لم تصبح أرضا عربية لأن الهجرات التى خرجت من الجزيرة العربية سكنت العراق والشام ومصر وما يليها غربا ، ولكنها لم تتقدم لتسكن فارس وما يليها شرقا فى مثل الصورة التى تمت فى البلاد العربية .

وقد مر الوطن العربى كله بمحن وأرزاء متشابهة وخاض كفاحا مريرا ضد الاستعمار وأعوان الاستعمار حتى استطاع أن يخرج من هذه الأزمات مرفوع الرأس موفور الكرامة .

وفى القرن الثانى عشر الميلادى انتصر عماد الدين زنكى ومن خلفه الأمة العربية جميعا على الصليبيين فى عام ١١٤٤ م وردهم من امارة الرها التى كانت من أمنع الحصون الصليبية كما انتصر صلاح الدين الايوبى فى يوليو عام ١١٨٧ م على الصليبيين فى معركة حطين انتصارا كبيرا ، واستطاع أن يعيد بيت المقدس ولكنه عندما دخل بيت المقدس فى ٢٧ رجب عام ٨٥٣ هـ لم يستخدم القوة ولا الارهاب ، انما عامل اهل المدينة معاملة طيبة كريمة ليس فيها عنف ولا ضفط ولا اكراه ، حتى كتب « ونسман » فى كتابة عن الحروب الصليبية أن صلاح الدين صادف عند دخول بيت

المقدس عددا كبيرا من النساء آتين اليه والدموع تملأ عيونهن ، وطلبن منه الرحمة بهن ، وسألنه كيف يصنعن وقد قتل أزواجهن او آباؤهن او وقعوا في الاسر ، فأخذت الشفقة قلب صلاح الدين وامر باطلاق سراح كل زوج اسير ، اما الارامل واليتامى فأمر بصرف اعانات لهن تناسب مع مكانتهن الاجتماعية ، على ان تكون هذه الاعانات من حر ماله .

ويؤكد « ونسمان » ان عطف صلاح الدين وعفوه كانا يتباينان تباينا واضحا مع تصرفات الصليبيين في حملتهم الشعواء .

ولقد كان انتصار صلاح الدين يعزى الى تكاتف العرب وترابطهم في شتى انحاء الوطن العربى ، بل ان الملك الناصر فرج في مصر هرع لنجدة اهل الشام ضد تيمورلنك فيما بعد ، مما يؤكد ترابط الوطن العربى فترة طويلة من تاريخه .

وفي معركة « عين جالوت » التى تمت في ٣ سبتمبر عام ١٢٦٠ انتصر العرب ضد التتار انتصارا مبينا بفضل تعاونهم في رد العدو الغاصب خلف قائدهم الظاهر بيبرس .

وفي العصر الحديث مر الوطن العربى بنفس المحنة التى ابتلى بها في القرون الوسطى . فمئذ ان تأسست شركة الهند الشرقية وانشأت ثغر « سورات » على ساحل الهند الشمالى الغربى ثم وضعت انجلترا ايديها على الهند بدأت تفكر في الوطن العربى وتعتبره طريقا مؤديا الى مستعمراتها ولقمة سائفة تستولى على خيراتها فشنت حملة فريزر المعروفة على مصر عام ١٨٠٧ بيد انها باءت بالخسران العظيم بعد ما واجهت خسارة فادحة في الارواح والاموال ووقف الشعب المصرى امامها وقفة بطولية مشهورة في التاريخ ، ثم فكرت فرنسا في ان تجرب حظها وتحقق احلام الامبراطورية التى تراودها ، وارسل نابليون بونابرت حملته على البلاد بيد ان

القاهرة ثارت في وجهه مرتين ، واندلع من القاهرة لهيب الثورات حتى اجتاحت الوجه البحري كله ، والوجه القبلي برمته ، وسارع الاطفال والنساء الى حمل الاسلحة والبنادق والهاويات بجانب الرجال والشباب حتى انتهى الامر برحيل الحملة من مصر مخدولة مدحورة .

ثم سارع الانجليز باحتلال بعض المواقع العربية التي تحمي امبراطوريتهم في الشرق ، فاحتلوا المدخل الجنوبي للبحر الاحمر واستولوا على جزيرة « بريم » وميناء عدن عام ١٨٣٩ ثم فرضوا حمايتهم بالتدريج على تلك المناطق التي اطلقوا عليها الحميات كما ضغطوا على امير مسقط لتوقيع معاهدتين عام ١٧٩٨ وعام ١٨٠٠ واقاموا لهم وكالة سياسية في بغداد عام ١٧٩٨ ثم احتلوا مصر عام ١٨٨٢ واحتلوا السودان باسم الحكم الثنائي عام ١٨٩٩ .

ولما قامت الحرب العظمى الاولى عام ١٩١٤ اعلنت انجلترا الحماية على البلاد كما اعلنت حمايتها على الكويت والمناطق المحيطة بالخليج العربي بعد أن بدأت تبشير البترول تظهر في هذه المناطق وعقدت انجلترا معاهدة حماية مع الكويت عام ١٩١٤ ومع نجد عام ١٩١٥ ، ومع قطر عام ١٩١٥ .

وفي نفس الوقت كانت فرنسا تسعى الى تحقيق حلمها الكبير بتأسيس امبراطورية في الشرق فقامت باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ وتونس عام ١٨٨١ واحتلت ايطاليا ليبيا عام ١٩١١ ومن اجل أن تتم المؤامرة ولا تثار الفتن ولا القلاقل . . ومن اجل أن تنشب يد الاستعمار اظافرها في فريستها دون مضايقات عقدت فرنسا وانجلترا اتفاقا ثنائيا عام ١٩٠٤ على تقسيم الغنائم بين الطرفين فلا تعرقل فرنسا الاحتلال الانجليزي لمصر في مقابل اعتراف انجلترا بفرض سيطرتها على المغرب .

ومنذ ذلك التاريخ اخذ العالم العربى يمتحن بنفس المحنة ضد قوى الطغيان ، والاستعمار واعوان الاستعمار ، وبدأ الشعب كفاحه المتصل بالعرق والدم والدموع دون تلكؤ او احجام ودون ضعف او تهاون .

وصاحبت الحركة التحررية حركة فكرية ممتدة ، وظهرت طائفة من المفكرين الاحرار فى الوطن العربى منهم جمال الدين الافغانى والامام محمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبي مؤلف مصارع الاستبداد ، وام القرى .

كما ظهر فى الوطن العربى ابطال يدافعون عن حقوقه ويكافحون عن عروبتهم نذكر منهم السيد عمر مكرم الذى وقف امام الفرنسيين فى مصر ، والامير عبد القادر الجزائرى الذى هب مع الشعب العربى فى الجزائر لمقاومة الاستعمار ، وطفقت السنوسية تقوم بحركة واسعة لتعبئة قوى العرب ضد الاستعمار ، واصطدمت بالفرنسيين ثم الايطاليين فلم تلن لها قناة ، ولم يهن لها عود ، حتى اعلنت ليبيا استقلالها منذ سنوات ، وكذلك ظهرت فى بلاد العرب ، وكانت تهدف الى رد الاستعمار عن الوطن العربى .

ثم قامت فى مصر حركة قومية عام ١٩١٩ هزت اركان الوطن ، وامتدت شرارتها الى كافة البلاد ، وهب المصريون قوة واحدة وقاموا قومة رجل واحد فى وجه الاحتلال ، وامتد اثر الثورة الى البلاد العربية جميعا فاشتعل اوارها ضد الاستعمار ، واعوان الاستعمار .

واخذت الثورة تتبلور حتى حملت طابعها الجديد فى ثورة ٢٣ يوليو كما قامت فى سوريا فى عهد الانتداب الفرنسى حركات ثورية كثيرة ، وكذلك قام لبنان بوثبة كبرى ضد الفرنسيين وخضعت

سوريا ولبنان للاحتلال اثناء الحرب العالمية الأخيرة ثم اتاح لها
القدر ان تنتصر وان تعلن استقلالها بفضل جهاد ابنائها الابطال

وتمت بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ الوحدة التي املتتها ارادة
الشعب في كل من البلدين والتي كانت استمرارا للتعاون المتصل
بين البلدين ، وللانتصارات المشتركة للقوات المصرية والسورية
التي تمت ضد قوات المغول بقيادة هولاكو عام ١٢٦٠ م وضد
الصليبيين في ميناء عكا عام ١٢٩١ م .

وبتكوين الجمهورية العربية المتحدة ولدت دولة كبرى في المنطقة
تضم نحو ٣٠ مليون مواطن ، وبذلك ظهر بطلان دعوى الغرب في
وجود الفراغ ، وهي تلك الدعوى التي اتخذها ذريعة للتدخل ،
وتولد ايمان عميق لدى الشعوب بأنها قادرة على الدفاع عن نفسها
ضد اى اعتداء ، وان تنتهج في نفس الوقت سياسة الحياد الايجابي
وعدم الانحياز .

وهي دولة كبرى في الشرق الاوسط ليست دخيلة فيه
ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعديّة ، دولة تحمي ولا تهدد
وتصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسالم
ولا تفرط ، تشد أزر الصديق وترد كيد العدو ، لا تتحزب
ولا تتعصب ، لا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العزم وتدعم السلام ،
توفر الرخاء لها ولبن حولها وللشعر جميعا .

بيد ان الانفصاليين عملوا على تفتيت كيان الوحدة وفي غفلة
من الزمن نجحت الحركة الانفصالية ، غير ان ارادة الشعب العربي
فوق كل ارادة وان رغبة الشعوب في انجاز الوحدة أمر محتوم
ولا مربة فيه مهما طال الزمن واختلفت الاوضاع .

وقد روعت اسرائيل من ذلك التطور السياسي الرهيب الذي

هم البلاد العربية جميعا فأعلن استقلال السودان ، كما أعلن استقلال المغرب والجزائر وتونس ، وتقوض النظام الملكي في اليمن بعد أن فاحت أبوابه وأدراجه في شتى أنحاء العالم العربي ، وكذلك انتهى عهد الملكية في العراق وأعلن النظام الجمهوري ، وسقط قاسم العراق بعد أن انتفض الشعب العراقي انتفاضته الكبرى ، وقضى على هؤلاء القادة الذين حاولوا أن يحيلوا مكاسب الثورة في العراق الى مكاسب شخصية ومنافع خاصة ذاتية .

وهكذا انتفض المارد العربي واخذ يحتل مكانه اللائق به تحت الشمس في القرن العشرين ، وحطم قيود الاستعمار بعدما امتحن بتاريخ سياسي وحضاري واجتماعي واحد ، وصقل بتجارب متشابهة .

ورغم أن الاسلام كان دين الغالبية من أبناء الوطن العربي فانه لم يكن وسيلة للاستعلاء أو الاستبداد بالاديان الأخرى ، انما نادى بالتسامح والاخاء مع الاديان الأخرى ، وكانت البلاد العربية في الحقيقة منبعا للاديان السماوية كلها ، ويستوى في اطار القومية العربية أي دين من الاديان .

وقد استغل الاستعمار الاختلاف الديني بين أبناء الوطن العربي ليشير التفرقة والتقطيع ، ويفت في عضد الأمة العربية ، وفكر الانجليز عند احتلالهم مصر في القرن التاسع عشر أن يؤسسوا دولة قطبية في الصعيد ، كما ثارت جفوة بين المسلمين والاقباط ، واخذ الفريقان يتراشقان التهم ، وعقدت المؤتمرات من أجل ذلك ، بيد أن هذه الخلافات كلها ذابت في سبيل الوحدة والمحبة ، كما تحطمت كل هذه المنازعات على صخرة العروبة الشماء .

وعندما تولى امر الامة العربية خليفة دينى عثمانى باع الامة العربية للاستعمار ، ولذلك رفض العالم الاسلامى فكرة الجامعة الاسلامية التى نادى بها السلطان عبد الحميد ، وانضم العرب الى جمعية الاتحاد والترقى التى قضت على السلطان عبد الحميد وعلى فكرته فى الجامعة الاسلامية فى عام ١٩٠٨ ، ١٩٠٩

ولكن رفض العرب لفكرة ارتباط السلطة الدينية بالسلطة الزمنية ليس معناه عدم الاحتفال بالدين فقد كان الدين ولا يزال شيئا مقدسا لدى العرب بل ان التسامح وحرية العقيدة من شعائر الاسلام ، ومن اخلاق السلف الصالح اذ اختفى البطريك بنيامين عشرين عاما بأحد الاديرة هربا من الرومان وظلمهم واضطهادهم فلما جاء العرب ردوا له اعتباره ، ونصبوه مرة أخرى فى منصبه وفى كنيسة بيت المقدس رفض عمر بن الخطاب ان يحول الكنيسة الى مسجد مخافة ان يظن المسيحيون انه لم يحترم شعائرهم الدينية ومعابدهم المقدسة ، كما استخدم صلاح الدين وكان حربا موانا على الاستعمار الذى شنه الصليبيون كاتبا مسيحيا له هو ابن مماتى الذى دون ذكرياته معه ، فى كتاب حفظه لنا التاريخ .

وفى العصر الحديث كانت الخلافات كلها تذوب ، وتبقى مصلحة العروبة فوق كل شيء .

ورغم ان الدين والجنس - رغم توحيدهما فى الوطن العربى - لم يكونا من مقومات القومية العربية فان طبيعة الوطن العربى املت عليه الترابط والوحدة ، ان عاجلا أو آجلا ، فالهضبة الجيولوجية القديمة التى شملت معظم الوطن العربى تأثرت بالعوامل الظاهرية والباطنية فتكونت منها هضبات متوسطة الارتفاع تتخللها وديان وسهول واحواض داخلية ، وينشأ به المناخ تشابها كبيرا بين شطرى الوطن العربى الآسيوى والافريقى ، اما الحرارة فتكاد تكون متشابهة

في الشتاء وتبلغ درجة الحرارة في شهر يناير ١١ م في مدينة الرباط و ١١٥ في الجزائر ، و ١٠ في تونس ، و ١١٥ في الاسكندرية اما في الصيف فتزداد الحرارة وتبلغ في شهر يوليو ٢٨ في المغرب ، و ٢٥ في الجزائر ، و ٢٦ في تونس ، و ٢٦ في الاسكندرية .

والنبات في الوديان واحواض الانهار في الوطن العربي يكاد يكون متشابهها وكذلك الحال بالقياس الى النبات في الصحراوات ، ويشتهر العالم العربي بالقمح والبرتقال والورد والرياحين وازهار الربيع .

وهكذا كانت وحدة الجغرافيا الطبيعية للوطن العربي وحدة حقيقية وهي وحدة التصاق واشتراك وتشابه وتدرج ، وكل هذه العوامل تدعم قواعد القومية العربية وتكون شوكة في جنب أعداء العروبة .

وينشأ عن هذا كله مجتمع عربي يشترك في تراث اجتماعي يتكون من الثقافة والحضارة ، ونقصد بالثقافة جميع العناصر الروحية أو العناصر غير المادية من دين وعقائد ونظم اجتماعية في الأسرة والتقاليد ، والعادات والمثل والأخلاق كما نقصد بالحضارة مظاهر العمران المدني والتقدم في ميادين الحكم والسياسة .

وقد ساهم العرب جميعا في بناء المساجد في البصرة والكوفة وبغداد ودمشق والقاهرة وتونس والقيروان ، وامتلات كل مدينة برجال العلم والثقافة ، وأصحاب الحرف والفنون ، بل لقد كان العرب يشتركون في سرائهم وضرائهم وحروبهم ومعاركهم ، وليس أدل على ذلك من تناصر العرب جميعا أثناء الحروب الصليبية ضد الغرب ، وتكاتفهم وتآزرهم ضد المغول ، بل ان العلامة ابن خلدون اخرج من المغرب ليشترك في مفاوضة تيمورلنك عندما غزت جيوشه الشام ، واستولت على البلاد ، فقد أبدى ابن خلدون ، في مفاوضاته

مع تيمورلنك شعورا صادقا لا يختلف في قليل أو كثير عن شعور المواطن العربي في العالم العربي كله ، فالقومية العربية كانت تربط العرب في المغرب والمشرق برابطة قوية لا انفصام لها .

ونحن في الوطن العربي اذا ما سرنا شرقا حتى ايران ، او غربا حتى اسبانيا لا يشعر السائر انه غريب في اى مجتمع يسير فيه او يتوغل في دراسته اذ ان الاطار العام للحياة الاجتماعية مشترك لا يتغير . وهذا الاطار الموحد الذى ينتمى الى مجتمع عربى عام هو ما نطلق عليه القومية العربية وقد عاشت المدينة ومكة ودمشق والبصرة والكوفة ، وبغداد ، والقاهرة طيلة التاريخ العربى تحمل مشاعل الحضارة بالتناوب ويلتقى عندها كل عربى ، ويهرع الى ساحتها كل عربى ينضوى تحت لواء العروبة الخفاق .

وجمعت وحدة الحس والشعور ، ووحدة المثل والاهداف العرب جميعا لمقاومة العدو المشترك وبذل كل مرتخص وغال في سبيل الانتصار ولم يعد احد يقول لعربى في الشام او العراق انت بابلى او سريانى او اعجمى انما ذابت كل هذه الاسماء في خضم القومية العربية الجارف .

وقد اصبح واضحا للعيان ان القاهرة هى حاملة لواء القومية العربية وان هذه القيادة أصبحت شوكة في جنب اسرائيل تقض مضجعها وتقلق راحتها ، وقد اشار السيد الرئيس جمال عبد الناصر في كتابه « فلسفة الثورة » الى هذه الحقيقة فقال « لم يعد مفرا امام كل بلد من أن يدير البصر حوله خارج حدود بلاده ، ليعلم من اين تجيئه التيارات التى تؤثر فيه ، وكيف يمكن أن يعيش مع غيره ، ان واجب كل دولة أن تدير بصرها حولها لتبحث عن وضعها وظروفها ، وما هو مجالها الحيوى وميدان نشاطها ، ودورها الايجابى في هذا العالم المضطرب ، وانى لاستعراض ظروفنا

فأخرج بمجموعة من الدوائر لا مفر من أن يدور عليها نشاطنا ، وما من شك في أن الدائرة العربية هي أهم الدوائر وأرقها لنا ، وقد امتزجت معنا بالتاريخ ، وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك الغزاة كان كل العرب تحت نفس السنابك » .

وفي كل ثورة تحريرية قام بها الشعب العربي ضد الاستعمار وإزالة الحكم الفاسد كانت القومية العربية وقود هذه الثورات ، وكان الوطن العربي كالجسد الواحد إذا أصيب عضو من أعضائه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولقد وقف الرئيس جمال عبد الناصر وقفات مشهودة حيال كل ثورة على الرجعية والاستعمار فقال في ثورة العراق « اننا نعتبر هذه الثورة تمثل أمانينا ومشاعرنا بل تمثل أمانى القومية العربية في الوطن العربي كله ، ففي هذه الثورة شعر كل مواطن وكل عربي بعزته الحقيقية وكرامته الحقيقية » .

وقال في ثورة لبنان « لقد انتصر شعب لبنان في ثورته وحقق لنفسه أكبر شيء حقق العزة والكرامة وتخلص من مناطق النفوذ ، ولم يعد لبنان قاعدة للاستعمار أو مكانا يتآمر فيه المستعمرون ضد اخوانهم العرب أو ضد الوطنيين في لبنان » .

وقال في الثورة السودانية « لقد قامت هذه الثورة من أجل مصلحة السودان والمحافظة على سيادته وحريته وبقائه خارج مناطق النفوذ الأجنبي .

وقد انتصرت القومية العربية في ميادين الكفاح ، انتصرت في الجزائر وكتب الجزائريون استقلالهم بالمداد يوم الاستفتاء بعد

ما كتبوه بالحديد والنار ، وانتصرت القومية العربية في الجنوب العربي ضد قوى الاستعمار ، وانشئت جمهورية اليمن الجنوبية بعد كفاح طويل .

وتجلى التضامن العربي بأروع مظاهره اثناء العدوان الثلاثي الفاشم على بور سعيد ، واهتزت الدوائر العربية لهذه الظامة الكبرى وارتجت المحافل الدولية لهذا العدوان السافر .

ان تيار القومية العربية كسيل العرم قوى جارف ولن تستطيع قوة في الأرض ان تحول دون امتداده او تعمل على ايقافه لانه حقيقة واقعة لا سبيل الى تجاهلها او تغافلها او نسيانها ، ومهما حاول المستعمرون ان يفرقوا هذا المبدأ فانه لن يفوص الى الاعماق لانه كقطعة الفلين التي تسبح في الماء ولا تغوص الى الاغوار .

ولقد حاول الاستعمار ان يربط العالم العربي برباط الأحلاف العسكرية غير انه باء بالفشل والخسران المين بعد ان اعتمد على بعض أعوانه في الشرق العربي وفشل مشروع ايزنهاور الذي زعموا انه ملء الفراغ في الشرق الأوسط كما سقط حلف بغداد والحلف الاسلامي ، كما فشل الاستعمار في عرقلة مشروع السد العالي واعلنها السيد الرئيس جمال عبد الناصر صيحة كبرى لتأميم القناة في يوليو عام ١٩٥٦ ولم يستطع العدوان الثلاثي الفاشم ان يحقق غرضه ازاء وقفة الشعب العربي الباسل .

لا شك أن مارد القومية العربية كان شبحا رهيبا يهدد اسرائيل طيلة السنوات الماضية اذ اعتقدت انه لا بد ان يجهز عليها في القريب فأخذت تتحين الفرص من اجل تحطيم قوى هذا المارد الجبار ، والقضاء على وحدة الأمة العربية بكل طريقة مستطاعة . وقد استعانت اسرائيل بالدول الغربية والولايات المتحدة الامريكية

ابتغاء تحقيق هذا المخطط الآثم للقضاء على القومية العربية في
عقر دارها .

ولكن خاب مسمى اسرائيل في هذا السبيل ، فانها لم نستطع
أن نحقق قلامة ظفر من امانيتها واحلامها ، بل خرج الشعب العربي
بعد نكسة ١٩٦٧ أشد قوة وتماسكا وأكثر وفاقا وتجانسا ، وكان
مؤتمر القمة في الخرطوم في العام نفسه ضربة مصوبة الى قلب
اسرائيل ، ودفعة قوية للقومية العربية للانتفاض والوقوف ،
والثبات والصمود ، فقد أكد المؤتمر وحدة الصف العربي ووحدة
العمل الجماعي وتصفيته من جميع الشوائب كما أكد رؤساء وملوك
العرب التزام بلادهم بميثاق التضامن العربي الذي أصدره مؤتمر
القمة العربي الثالث الذي عقد بالدار البيضاء ، كما قرر المؤتمر
ضرورة تضافر جميع الجهود لازالة آثار العدوان على اساس أن
الأراضي المحتلة أرض عربية يقع عبء استردادها على الدول العربية
جمعاء ، كما قرر المؤتمر توحيد الجهود في العمل السياسي على
الصعيد الدولي والدبلوماسي لازالة آثار العدوان وتأمين انسحاب
القوات الاسرائيلية من الأراضي العربية التي احتلتها بعد الخامس
من يونيو وذلك في نطاق المبادئ الأساسية التي تلتزم بها الدول
العربية وهي عدم الصلح مع اسرائيل وعدم الاعتراف بها وعدم
التفاوض معها ، والتمسك بحق الشعب الفلسطيني في وطنه .

ورأى المؤتمر بعد الدراسة أن ضخ البترول يمكن استخدامه
كسلاح ايجابي باعتبار البترول طاقة عربية يمكن أن توجه لدعم
اقتصاد الدول العربية التي تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من
الصمود في المعركة وتحقيقا لذلك قررت المملكة العربية السعودية
والكويت وليبيا وهي الدول المنتجة للبترول الالتزام بدفع مبالغ
معينة من المال بالعملات الأجنبية الى مصر والأردن كما قرر

الجنمعون سرعة تصفية القواعد الأجنبية في الدول العربية ،
وضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الاعداد العسكرية لمواجهة
كافة احتمالات الموقف .

وهكذا انتصرت القومية العربية رغم النكسة عام ١٩٦٧ ، ولم
تستطع اسرائيل تحقيق الهدف من عدوانها واصبحت القومية
العربية حقيقة عملية واضحة لا تقبل الشك ولا يرقى اليها
الجدل .

الفصل الخامس

تخطيط الجبهة الداخلية

هناك مأرب أخرى لعدوان اسرائيل في يونيو عام ١٩٦٧ لا تخفى على عين الباحث في طبيعة اسرائيل وسياستها منذ انشائها عام ١٩٤٨ ، ومن هذه المأرب القضاء على التطور الهائل في الصناعة العربية وعلى الاسواق التجارية في الدول الافريقية لتوزيع منتجات هذه الصناعات فقد غدت الصناعة العربية ماردا جبارا يخيف الاقتصاد الاسرائيلي ويصيبه بالشلل التام ، وبينما نعتبر الزراعة في الوطن العربي هي القطاع الاول الذي يبنى عليه هيكل الانتاج الكلى ، فان الصناعة تعتبر هي المنفذ الاساسى للتقدم الاقتصادى والنمو المستمر وذلك بان طبيعة الانتاج الزراعى يتميز بانه يتم في دورة واحدة تبدأ بالبلدر وتنتهى بالحصاد ، بينما نجد الانتاج الصناعى يتكون من عدة دورات بتركب كل منها على الآخر ، ويخدم

بعضها بعضا بشكل يتيح نموا سريعا لا فى النشاط الاجتماعى ذاته
فحسب بل وفى أنواع المنتجات وتعددتها وتقاربها مع اذواق
المستهلكين واحتياجاتهم الزائدة .

لذلك كان التقدم الصناعى الحجر الأساسى فى كل خطة للتنمية
فى الوطن العربى وقامت الدولة بتعبئة جميع الموارد الطبقيّة
والبشرية وتوجيهها وعملت على زيادة حجم الانتاج وتوزيعه ليشتملى
مع الزيادة فى عدد السكان ، وأدخلت الدولة الصناعات الثقيلة
وزادت من الطاقة الإنتاجية للصناعات القائمة ورفع كفاءتها الإنتاجية
وظهرت فى بلادنا الصناعات الثقيلة كصناعة الحديد والصلب
ومحركات الديزل وعربات السكة الحديد والسيارات اللورى
وسيارات الركوب والأوتوبيس والمترو ، كما ظهرت فى حياتنا
الصناعات الخفيفة مثل صناعة الدرجات وسخانات البوتاجاز
والأفران والثلاجات الكهربائية ، والكابلات وأدوات الكهرباء
والخزف والصينى .

وتطورت الصناعات فى عهد الثورة تطورا عظيما بعد ما كانت
تقوم على الارتجال وتسيطر عليها الاحتكارات كما لم تتجه الاتجاهات
السليمة التى تعمل على نموها وازدهارها ، أو تأبه للمقاييس
الاقتصادية الأساسية كنفقة الحصول على المواد الخام كما لم تكن
تدخل عليها وسائل الانتاج التى تحقق وفرا كبيرا وكفاية أعلى ،
وكان مرجع هذا كله الى قصور فى العقلية الصناعية وتقصير فى
استخدام الوسائل الفنية الصحيحة والتدريب المهنى .

وقد أدركت الصناعة فى السنوات الأخيرة طفرة جبارة وبعد أن
كنّا نعجز عن صناعة الإبرة أصبحنا نصنع الإبرة والصاروخ . وإلى
دور الصناعات أشار الرئيس جمال عبد الناصر فى الميثاق فقال :
ان الصناعة هى الدعائم القوية للكيان الوطنى وهى القادرة على
الوفاء بأعظم الآمال فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى .

الصناعة هي الطاقة الخلاقة التي تستطيع أن تتجاوب مع التخطيط الواعي المدروس ، وتفي ببرامجه دون ما عوائق غير منظورة تصعب السيطرة عليها ، ومن ثم فهي القادرة في أسرع وقت على توسيع قاعدة الانتاج توسيعا ثوريا حاسما .

ولا شك أن الطفرة في ميادين الصناعة والانتاج ، وميادين التصدير والتوزيع كانت سببا من أسباب قلق اسرائيل ، وقد حاولت اسرائيل تحطيم الاقتصاد المصري بحرب يونيو غير أن الرئيس عبد الناصر نادى بضرورة توجيه اقتصادنا ليكون اقتصاد حرب وليتحمل معركة طويلة ضد أعدائنا لأنه سيستخدم ضدنا كل الأسلحة بجانب أسلحة الضغط الاقتصادي .

وإذا كانت معركة الانتاج قد واجهت بعض العقبات في سبيلها ومن ذلك تعذر تصدير بعض السلع الى بعض الأسواق ، وصعوبة استيراد بعض المواد الأولية اللازمة لبعض الصناعات ، واستمرار غلق قناة السويس لمدة قد تطول فإن الشعب العربي استطاع الصمود امام كل هذه الأحداث واستطاعت الصناعة العربية أن تستغل الموارد المحلية أحسن استغلال وتعوض النقص الذي تحس به في مجال الصناعة ، كما استطاعت الدولة أن تحقق التوازن الاقتصادي وقامت ببعض الإجراءات الضرورية لمواجهة الأحداث ، وفرضت ضريبة الأمن القومي من أجل هذه الأغراض دون أن تمس أصحاب الدخول الصغيرة .

وقد رحب الجميع بهذه الإجراءات الاستثنائية من أجل تحقيق النصر ومواجهة الخطوب والأحداث ، وتكوين احتياطي غير عادي

من المواد التموينية والمواد الاستراتيجية ومستلزمات زيادة
الانتاج .

وقد تعاون الجميع على تحطيم هدف اسرائيل من تدهور
الاقتصاد المصرى والقاء الشعب فى مجاعة كبرى لان الشعب يعتقد
ان حرية القوات لن تنجح من غير تحقيق الحرية السياسية وتحرير
اراضيه من اقدام المعتدى الاثيم .

الفصل السادس

الآمال التوسعية

لقد كان انشاء اسرائيل ركيزة للاستعمار في الشرق الاوسط ،
ووسيلة لتحقيق اهدافه وتنفيذ خطته وآية ذلك ما ورد في وثائق
وزارة الخارجية البريطانية عن الخمسين سنة الاخيرة فقد جاء في
هذه الوثائق ان هناك عدة مؤتمرات عقدت في عواصم الدول
الاستعمارية التي لها مصالح استعمارية في العالم وهي انجلترا
وفرنسا وابطاليا والبرتغال ، وقد تقرر في هذه المؤتمرات ان هناك
قوى بشرية هائلة في منطقة آسيا وافريقيا وان هناك عوامل كثيرة
تربط بين هذه القوى البشرية الهائلة منها اللغة والعادات والتقاليد ،
والنزعة القومية وانه لابد من خلق « حاجز بشري » بين تلك الشعوب
حتى لا تتكاتف ولا تتعاطف ولا تكون شوكة في جنب الاستعمار ، تقلق
مضاجعه ، ولذلك فكر المتآمرون في تحقيق امل اليهود في خلق وطن
قومي لهم في فلسطين .

ولذلك لم يكن غريبا أن يصدر في مايو عام ١٩٤٣ بيان امريكي يعلن موافقة امريكا على قيام دولة يهودية في فلسطين ورفضها للكتاب الأبيض الذي صدر في عام ١٩٣٩ وتصميمها على اطلاق الهجرة اليهودية بدون حدود وعلى انشاء جيش يهودي ويعرف هذا القرار بقرار بلتيمور كما بعث ترومان في ٣١ أغسطس ١٩٤٥ برسالة الى مستر اتلي يؤيد فيها فتح ابواب فلسطين لليهود النازحين من المانيا والسماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودي .

وفي ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ شكلت لجنة بريطانية امريكية لحل قضية فلسطين وقد دلت القرارات التي تمخضت عن هذه اللجنة على روح العدوان للعرب اذ قررت هجرة ١٠٠ ألف يهودي في الحال ، كما عقد في لندن في ١٠ سبتمبر عام ١٩٤٦ مؤتمر استمر حوالي ثلاثة أسابيع وقدمت فيه بريطانيا مشروع موريسون الذي يرى انشاء دولة فيدرالية من العرب واليهود تحت اشراف بريطانيا غير ان المندوبين العرب رفضوا هذا المشروع وتقدموا بمشروع يقضي بقيام دولة مستقلة وتكوين حكومة انتقالية برئاسة المندوب السامي تتألف من سبعة من العرب وثلاثة من اليهود ، ووقف الهجرة واحترام الاماكن المقدسة وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا الا ان بريطانيا رفضت المشروع العربي واصرت على قبول مشروع موريسون ثم عادت وقدمت مشروع بيغن الذي يرى وضع فلسطين تحت وصاية بريطانيا لمدة خمس سنوات تقسم خلالها الى اقسام ادارية تتمتع بالحكم الذاتي ورفض العرب هذا المشروع .

ومن هنا يتضح لنا أن نيات الاستعمار كانت تهدف منذ البداية

الى تكوين منطقة نفوذ في الشرق الأوسط عن طريق اسرائيل صيانة لمصالحه ورعاية لمطامعه في الشرق الأوسط .

زد على ذلك ان مشكلة المياه في اسرائيل تشكل خطرا داهما يهددها مما يجعلها تتوسع من أجل سد احتياجاتها ، فضلا عن ان مسألة المياه لها صلة مباشرة للهجرة اليهودية .

وقد قام أحد العلماء واسمه جرانوسكى Granowsky بتأليف كتاب يسمى Land Policy and Palestine (سياسة الأرض في فلسطين) درس فيه مشكلة المياه في فلسطين جاء فيه أن حجم المياه يبلغ نحو ٤٨٥٣٠ مترا مكعبا في الساعة وهناك ينابيع المياه وعددها ٢٥ في فلسطين ، ويخرج منها ماء يقدر بحوالى ٣٣٩٨٠ مترا مكعبا في الساعة ، الى جانب ينابيع المياه المالحة وهى تنتج حوالى ١٨٣٦٠ مترا مكعبا في الساعة ، وهذه المياه ذات حجم ضئيل بالنسبة لمساحة فلسطين التى تبلغ ١٣٧٤٢ ك ٢م . بدون بشر سبع التى تبلغ مساحتها ١٢٥٧٧ ك ٢م وهى أرض فقيرة في المياه ، ولقد كان استغلال مصادر المياه التى في جوف الأرض قليلا وذلك يرجع للتكاليف الباهظة التى يتكلفها استخراج المياه ، ونتيجة لزيادة عدد السكان والمطالب المتزايدة التى تحتاج اليها المزارع .

ونتيجة لذلك فان أهمية المياه في اقتصاد اسرائيل امر حيوى ومشكلة رئيسية حتى تساير حاجات المزارعين وبرامج الاسنيطان .

وقد تعرض الكاتب نورمان بنتويش Norman Bentwich لمسألة الزراعة وصلتها بالهجرة اليهودية الى فلسطين فقال اننا

نستطيع ان ندرك الصلة بين الهجرة وتوافر المياه ، وهى صلة غير مباشرة اذ توجد المياه فى الطاقة الزراعية . وهذه الطاقة الزراعية تحدد مقدار الهجرة التى يمكن استيعابها وهكذا نستطيع ان نقول ان كمية المياه المتوافرة تتناسب طرديا مع عدد اليهود الذين يمكن استيعابهم .

وقد اشار بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل عام ١٩٦١ الى تلك الحقيقة حين قال يومذاك فى احدى خطبه :

واذا لم تضع اسرائيل حدا لحياة الصحراء فى النقب فان حياة الصحراء فى النقب ستضع حدا لحياة اسرائيل ؟

فلا غرو اذن ان تسعى اسرائيل لتحقيق هذه الاهداف وتطمع فى الوصول الى النيل والفرات ولكن هذه المطامع احلام كاذبة لا تلبث ان يدركها نور الصباح فيأتى عليها ويجعلها بددا ١٩

ادركت اسرائيل كذلك ان القاهرة هى مناط آمال الامة العربية جمعاء ، وانها بالقضاء على الثورة العربية فى القاهرة تستطيع ان تكبت انفاس دعوات الحرية فى كل مكان من الوطن العربى الكبير بمعاونة الاستعمار الغربى ومساندة الولايات المتحدة الامريكية كما ادركت ان القوة العسكرية العربية المتمثلة فى جيش الجمهورية العربية المتحدة خطر جسيم يهدد كيان اسرائيل وان استخدام كل وسيلة لتحطيم هذا الجيش ولو على سبيل الخديعة والخيانة من شأنه ان يقضى على كل امل فى الحرب مع اسرائيل ، ولقد اظهر الجيش العربى من ضروب البسالة فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨

ما سجله التاريخ بحروف من نور وكانت معركة الفالوجة من أشهر المعارك الحربية في فلسطين التي جعلت المراسلين العسكريين يقفون مذهولين ازاء البسالة العربية وشهامة الجنود العرب كما كانت معارك يونيو ومنها معركة رفح من أروع المعارك الحربية . وسجلت أرض المعركة بطولات عظيمة حتى آخر قطرة من دماء شهدائنا الأحرار .

ولولا تحطيم السلاح الجوي العربى في قواعده قبل أن تبدأ المعركة على النحو الذى سنفصله في الصفحات القادمة لكان للمعركة شأن آخر فانه بالقضاء على السلاح الجوي الذى يحمى المشاة أصبح من العسير على الجيوش البرية أن تقاتل تحت وابل من قنابل الأعداء التى تقصف المشاة من السماء . وبالرغم من كل هذا فان الجيش العربى ظل يدافع عن الوطن ببسالة منقطعة النظير واضطر الى الانسحاب الى مواقع دفاعية جديدة من أجل الذود عن قناة السويس وقد حاولت اسرائيل في عدوانها أن تضع العرب أمام الامر الواقع وتفرض عليهم صلحا معها بقوة السلاح غير أن الشعب العربى ظل متمسكا بسياسته الاولى وقرر مؤتمر القمة في الخرطوم في ٢٩ أغسطس عام ١٩٦٧ عدم الصلح مع اسرائيل والوقوف في وجه العدوان الاسرائيلى صفا واحدا والقضاء على الآمال الاسرائيلية في التوسع على حساب الامة العربية وضرورة الانسحاب الى المواقع الاولى قبل حرب ٥ يونيو .

وقد كانت اسرائيل تحلم بتحقيق آمالها التوسعية منذ انشائها عام ١٩٤٨ وفي ديسمبر عام ١٩٤٨ وجه بن جوريون الى الشعب اليهودى في اسرائيل نداء جاء فيه « على الشعب أن يجمع قواه لانجاز هذه الأهداف ، والاعداد للوصول الى الهدف النهائى الا وهو

بناء الدولة اليهودية التى تجمع كل يهود العالم ، وبذلك تتحقق نبوءة التوراة » .

وفى عام ١٩٥١ عاد بن جوريون ليواصل سلسلة تصريحاته الهوجاء ليقول : اننى لا اقتنع بقطعة الارض التى احتلتها اسرائيل من ارض فلسطين كما ذكر فى كتابه « اعادة انشاء اسرائيل ومصرها » قوله « الآن فقط وصلنا الى بداية الاستقلال فى نقطة من ارض بلادنا الصغيرة » .

ومن اقوال بن جوريون المشهورة « لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل » .

كما صرح لطلاب الجامعة العبرية والمعاهد القومية بقوله « ان هذه الخريطة يعنى خريطة فلسطين ليست دولتنا ، بل لنا خريطة اخرى عليكم انتم مسئولية تصميمها ، خريطة الوطن الاسرائيلى الممتد من النيل الى الفرات فليفهم الجميع بأن اسرائيل قامت بالحرب ، وانها لن تقتنع بحدودها حتى الآن ، ان الامبراطورية الاسرائيلية سوف تمتد من النيل الى الفرات » .

وصرح فلاديمير جايوتنسكى رئيس الحزب الاصلاحى فى اسرائيل فى مؤتمر المحاربين القدماء فى ٢٨ اكتوبر عام ١٩٥٥ بقوله « سنطرد العرب فى فلسطين وشرق الاردن ، وسنقذف بهم الى صحاريهم ، وسنقيم الدولة اليهودية على ضفتى الاردن أولا ، ثم نمتد بها الى ما وراء حدود فلسطين » .

وقال الزعيم الصهيونى المعروف « نورمان بنتوئش » « ليس من المعقول ان تبقى فلسطين محدودة بحدودها الحالية فى استطاعة اليهود الانتشار والتوسع الى جميع البلاد المحيطة بها فى البحر

الابيض المتوسط الى الفرات ومن لبنان الى النيل ، فهذه هي البلاد التي أعطيت لشعب الله المختار .

وعقب عدوان ٥ يونيو وحرب الايام الستة وصفت اذاعة اسرائيل رئيس اسرائيل « زلمان شازار » بأنه اول رئيس للقدس بأكملها كما أطلقت الاذاعة على الضفة الغربية اسم اسرائيل الغربية .

واذاع موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي بيانا ذكر فيه ان قواته ينبغي ان تظل في سيناء ، وأن القدس ينبغي ان تظل عاصمة اسرائيل وتحت سيطرتها ، وان اسرائيل يجب الا تتنازل عن قطاع غزة والضفة الاردنية من الأردن .

وصرح ليفي اشكول رئيس الوزراء الاسرائيلي في الكنيست يوم ١٢ يونيو عام ١٩٦٧ بأن اسرائيل التي تحتل اراضي استراتيجية جديدة لن تعود ابدا الى الحدود السابقة . وصرح ليفي من الوزراء الاسرائيليين بأن اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ بين اسرائيل والدول العربية فقدت قيمتها وان اسرائيل لن تقبل في المستقبل اى حل مؤقت .

وهكذا ظهرت نيات الصهاينة ومخططاتهم التوسعية واضحة جلية امام العيان غير ان الشعب العربي لم يحفل لكل هذه المؤامرات وقد عارض العالم الاسلامي والمسيحي تدويل القدس ، وعارض البابا كيرلس الفكرة وقال : ان ذلك وضع شاذ لا مثيل له في المجال الدولي ويتعارض مع ميثاق الامم المتحدة ، ومقاصده التي تستنكر كل محاولة تستهدف التقويض الجزئي أو الكلي للوحدة القومية ، كما طالب البابا عقد جلسة طارئة وعاجلة للجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي باتخاذ موقف حاسم ضد الاجراء الخطير الذي اتخذه مجلس وزراء اسرائيل بضم القدس العربية الى فلسطين المحتلة .

ووجه فضيلة شيخ الأزهر بيانا مشتركا مع البابا كيرلس موجها الى اصحاب الضمائر الحرة في أنحاء العالم وإلى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أعلننا فيه دعوتهما للأمة العربية ألا تنهاون أو تتعاس عن الجهاد دون الحق والوقوف دون كل معتد أثيم .

وقد خاب مسمى إسرائيل في هذا الصدد ، ويقف العالم كله الآن بالمرصاد ازاء كل محاولة تقوم بها إسرائيل من أجل تدويل القدس واستخدام العنف والإرهاب .

وقد قامت إسرائيل بخطوات خطيرة من أجل القضاء على عروبة القدس ومن ذلك أن الكنيسة أصدر قرارا بتوحيد القدس واخضاع المدينة لإدارة محلية موحدة كما أذاع بنك إسرائيل بيانا أعلن فيه أن الليرة الإسرائيلية هي العملة الوحيدة التي يصرح بتداولها في الجزء الأردني من القدس .

وبعد صدور قرار الكنيسة بضم القدس عقد ليفي أشكول مؤتمرا صحفيا في القطاع الأردني من المدينة وأعلن في غير خجل أو حياء ، أن العسكريين الإسرائيليين ليس في نيتهم التخلي عن الأراضي العربية المحتلة .

وقد اشتعلت على أثر ذلك الثورات في شتى أنحاء المدينة ، ورفض التجار دفع الضرائب الباهظة التي فرضها الإسرائيليون على التجار وأصحاب الأعمال ، وأغلق التجار حوانيتهم ، وشلت حركة المواصلات ، ولم تجد وسائل العنف والإرهاب ، والقتل والتعذيب في اقناع الشعب العربي في القدس وفي غيرها من المدن المحتلة بسياسة الأمر الواقع ، ولم يكد الإسرائيليون يقضون على فتنة في أحد أحياء المدينة حتى تشب فتنة أخرى في منطقة مجاورة أو بعيدة . ولم تنفع سياسة الحديد والنار في أعمال العنف والإرهاب .

وقد نقل الصحفيون الروس الثلاثة مؤلفو كتاب « إطلاق الحماسة » ذلك البيان الذي أذاعته « نانسى أبو حيدر » على الراى

العام العالمى بالنيابة عن القدس وشعبها وجاء فيه « ان العدو يذيق المدينة المحتلة أقسى العذاب ، والعدو يفعل كل ما فى وسعه لتغيير طابع المدينة والقضاء على روحها ، ويجرى تحقيق هذا الهدف بأساليب متعددة اعتبر انا شاهدة عليها فبعد ثلاث ساعات من انذار الاهالى بمفادرة دورهم تمهيدا للقيام بعملية « ادارية » سوت البولدوزورات العسكرية بالارض بيوت أكثر من ٢٥٠ عائلة فى الحى الغربى لتقيم فى مكانها موقفا للسيارات السياحية القادمة من تل ابيب وبنفس الطريقة هدم الحى الذى كان يسد الطريق الى حائط المبكى الذى اصبح فى ايامنا هذه يرمز الى الآلام الجديدة التى يعانها اهل القدس ، كذلك هدم الاسرائيليون معسكر اللاجئين وعددا ضخما من المحال التجارية والبيوت ، وبذلك اصبح آلاف العرب بلا مأوى ، ولم يعد امامهم سوى عبور نهر الأردن فى اتجاه الضفة الشرقية » .

ورغم كل هذه الاجراءات الظالمة التى قامت بها اسرائيل فى القدس فان العرب فى القدس يرفضون التعامل بالعملة الاسرائيلية ، ويفضلون التعامل بالدينار العراقى كما يرفض التجار شراء السلع من شركات العملة الاسرائيلية كما رفض عدد كبير من القضاة العرب استئناف عملهم فى المحاكم ورفض المحامون العرب الاعتراف بضم القدس . وغمر البلاد طوفان من المنشورات الثورية التى وجهتها منظمة طلائع العودة وغيرها من المنظمات الوطنية للامتناع عن التعاون مع العدو بكل وسيلة مستطاعة .

وفى يوم ٢١ اغسطس عام ١٩٦٧ كان من المقرر ان يصل الى القدس مستر ارنست تيلمان الممثل الشخصى للسكرتير العام للأمم المتحدة فرأى ان يشاهد الحوانيت مغلقة والشوارع خالية وحركة المرور متوقفة فقد وافق يوم وصوله يوم اعلان الاضراب العام فى القدس على الوضع الشاذ الذى فرضته اسرائيل على العرب دون وجه حق او سند مشروع .

الباب الثاني
في المعركة

الفصل الأول

الشرارة الأولى

تكشف الأنباء على أن إسرائيل كانت تنوى أن تشن حرباً هجومية على الجمهورية السورية في ١٧ مايو عام ١٩٦٧ ووضعت إسرائيل الخطة على هذا الأساس غير أنها ما لبثت أن كشفت وأصيبت بالفشل بعد أن تمت الحشود العسكرية الإسرائيلية الموجهة ضد سوريا ، وأعلن كل من ليفى أشكول رئيس الوزراء والجنرال اسحق رابين رئيس أركان الحرب أنه من المحتمل أن تحدث مواجهة خطيرة بين سوريا وإسرائيل إذا استمرت عمليات الفدائيين الفلسطينيين داخلها كما اتهم سوريا بأنها تقف وراء جميع أعمال التخريب داخل إسرائيل وأنه قد انشئت وحدات خاصة من الجيش لمقاومة حرب العصابات ومواجهة تزايد هجمات الفدائيين العرب ضد الأراضي الإسرائيلية .

وعلى اثر توتر الموقف على خطوط الهدنة بين سوريا واسرائيل وعلى اثر الحشود العسكرية الضخمة والتهديدات العدوانية المتكررة والأصوات العالية المدوية في اسرائيل للزحف على دمشق أعلنت حالة الطوارئ في الجمهورية العربية المتحدة وعقدت العزم على أن تخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرض الوطن السوري لعدوان يهدد أراضيه أو سلامته ، كما أعلنت الجمهورية العربية المتحدة أنها سوف تدخل المعركة لاتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا التي تلتزم بها الجمهورية العربية المتحدة التزاما كاملا وكذلك لموقف الجمهورية العربية المتحدة ازاء كل عدوان على دولة عربية .

وتتابعت الاحداث سراعا وتقدمت الجمهورية العربية المتحدة بطلب سحب قوات الطوارئ الدولية بعد اصدار التعليمات الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فور قيامها بعمل عدواني ضد اية دولة عربية ، وذلك بضمن من قوات الطوارئ الدولية المتمركزة في نقاط المراقبة على حدودنا .

وتم في يوم ١٧ مايو عام ١٩٦٧ تنفيذ طلب الجمهورية العربية المتحدة بسحب جميع قوات الطوارئ الدولية من نقاط المراقبة التي كانت تتمركز فيها على الحدود المصرية وأصبحت القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة واقفة على خط الحدود المصرية الطويل الممتد من رفح الى خليج العقبة وهو الخط المواجه للأرض المحتلة في فلسطين بواسطة العدو الاسرائيلي .

وانتهت بذلك مهمة وجود قوات الطوارئ الدولية على كل الحدود وفي قطاع غزة .

كما ابلغ يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة انسحاب قوات الطوارئ الدولية من غزة وانهاء وجودها على خطوط الهدنة المصرية الاسرائيلية وذكر أنه وضع في اعتباره وهو يتخذ قراره سلطة

الجمهورية العربية المتحدة في سيادتها على أرضها ، و اضاف ان
انهاء وجود قوة الطوارئ الدولية يعد حتما المواجهة المسلحة بين
مصر واسرائيل وطالب يوثات الجانبين بممارسة اقصى الهدوء
وضبط النفس في هذا الموقف حتى لا يصبح محفوفا بالخطر .

واوضح يوثات انه اتخذ قراره على اساس الاعتبارات الاتية ؛

١ - ان القوة لا تستطيع ان تبقى في مكانها وان تؤدي مهمتها
دون موافقة الدولة المضيفة .

٢ - انه يتعين تجنب الكتائب التي تشكل قوة الطوارئ من
التعرض للخطر .

٣ - انه ازاء طلب بالانسحاب مقدم من حكومة الدولة المضيفة
ليس هناك اختيار الا التسليم به مع وضع سيادة حكومة
القاهرة على أرضها موضع الاعتبار .

وفي يوم ٢١ مايو عام ١٩٦٧ أعلن السيد الرئيس جمال عبد
الناصر أثناء زيارته لمركز القيادة للقوات الجوية اغلاق العقبة امام
الملاحه الاسرائيلية والمواد الاستراتيجية لا تستطيع المرور منه
الى اسرائيل ولو على سفن غير اسرائيلية كما أعلن ان العلم
الاسرائيلي لن يمر امام قواتنا المراقبة في شرم الشيخ كما ان سيادتنا
على الخليج لا تنازع .

ولم يكن السيد الرئيس جمال عبد الناصر وهو يتحدث بهذا
الحديث يعبر الا عن الارادة العربية وعن رغبة الشعب العربي في
السيادة على اراضيهِ وعدم التفريط في جزء من ارض الوطن او حفنة
من ترابه .

وحاولت الامم المتحدة ان تنقذ الموقف من التدهور كما حاول
اوثات سكرتير عام الامم المتحدة ان يجذب الخطوط الممكنة للسلام
في الشرق الاوسط ، فحضر الى القاهرة لمقابلة السيد الرئيس جمال

عبد الناصر . واعطى السيد الرئيس اوثانت وعدا بالا تبدا مصر اطلاق النار ، كما اعلن عن استعدادده لحل القضايا الشائكة عن طريق التسوية السلمية ولكن المتطرفين الاسرائيليين كانوا يبيتون في نفوسهم امرا ، فقد حالوا دون تمكين اوثانت من ايجاد حل سلمى يمنع الصدام المسلح بين الطرفين وعارضوا بشدة اقتراح اوثانت بوضع قوات الامم المتحدة على جانبي الحدود في الاراضى الاسرائيلية المحتلة .

وكانت اسرائيل تتأهب لهذا الصدام المسلح وتستعد له تمام الاستعداد كما كان رئيس الوزارة الاسرائيلية ووزير الخارجية يقومان بجهود كبيرة في هذا الصدد ، ففي الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٢٤ مايو عام ١٩٦٧ هبطت طائرة تحمل في ذيلها شعار اسرائيل في مطار اورلى بباريس ، وكانت تحمل ابا اييان وزير الخارجية الاسرائيلية الذى حضر الى باريس دون ان يثير حوله ضوضاء او يلقي عليه الاضواء لمقابلة الرئيس ديغول ونزل في فندق هيلتون اورلى لانتظار المقابلة الموعودة ولكن الرئيس ديغول لم يستطع ان يعطى ابا اييان وعدا بمؤازرته في اى عدوان مسلح تقوم به اسرائيل بل اكتفى قائلا لآبا اييان في كلمات مقتضبة كان يرددها بين الحين والحين :

— لا تبادوا باطلاق النار ! —

وقد رفضت فرنسا تسليم اسرائيل شخصات جديدة من طائرات الميراج ووجهة نظرها في ذلك تقولها لآى سائل ولكل سائل : — ان العرب ابدوا وما زالوا يبدون كل استعداد للحل السياسى المعقول ، فلماذا تريد اسرائيل من السلاح فوق ما لديها منه فعلا ؟! وفى يوم ٢٦ مايو عام ١٩٦٧ وصل ابا اييان الى البيت الابيض وتوجه فوراً لمقابلة الرئيس الامريكى جونسون ، وشاع في الدوائر الصحفية الامريكية على اثر هذه المقابلة ان الرئيس جونسون وعد وزير الخارجية الاسرائيلية بان يتولى شخصيا قضية الملاحاة في

خليج العقبة وان كان الرئيس الامريكى صرح رسمياً بأن الولايات المتحدة سوف تقف من الازمة موقف الحياد فكراً وقولاً وعملاً .

ووجه الرئيس جونسون على اثر ذلك رسالة شخصية الى الرئيس ناصر واقترح سحب الحشود المصرية من الحدود الاسرائيلية ثم التفاوض فى وشنطن حول قضية الملاحة فى خليج العقبة .

وقد جاءت زيارة ابا ايان للولايات المتحدة بعد زيارة ليفى اشكول فى النصف الاول من شهر مايو ، وكان ليفى اشكول يطعم فى المساعدات الامريكية فلما انتهى من مهمته بعد مقابلة المسؤولين الامريكيين التف حوله الصحفيون من كل جانب ، وكان ليفى اشكول يبدو هادئ الاعصاب وهو يجيب على أسئلة الصحفيين وقد ارسمت على وجهه علامات النشوة والفرح ووجه اليه احد الصحفيين الاسئلة التالية :

— اذا هوجمت اسرائيل بالقوة من جيرانها ، فهل تتوقع النجدة من الولايات المتحدة الامريكية وربما من بريطانيا وفرنسا ؟
فانطلق اشكول يقول :

— بالتاكيد اننا نتوقع مثل هذه النجدة ، اننى لا اريد للامهات الامريكيات ان يبكين على دماء ابنائهن التى تسفك هنا ، ولكننى بالتاكيد اتوقع هذه النجدة ولا سيما اذا اخذت فى الاعتبار جميع الوعود المؤكدة الصادرة الى اسرائيل ، ولقد حصلنا على هذه الوعود عندما طلبنا السلاح من الولايات المتحدة فقبل لنا « لا تنفقوا اموالكم ان الاسطول السادس هنا » ولقد كانت اجابتنا على هذه النصيحة هى ان الاسطول السادس قد لا يكون فى متناول اليد بالسرعة الكافية لسبب أو آخر ولهذا فلا بد لاسرائيل أن تكون قوية وهذا هو السبب فى اننا انفقنا كثيرا من المال على السلاح بما لا يتناسب مع عدد سكاننا .

وعاد الصحفي يسأل ليفى أشكول :

— هل تشتري السلاح حاليا من الولايات المتحدة ؟

فقال أشكول : أجل .

فقال الصحفي : ما نوعه ؟

فقال أشكول : طائرات مقاتلة من طراز سكاي هوك .

فقال الصحفي : ما عددها ؟

فقال أشكول : لا أستطيع ان أفضى لك بالعدد لان هذا سر حربى

ولكنى أستطيع ان اقول اننا نأمل ان نحصل على هذه الطائرات خلال عام .

وقد رحبت كثير من الصحف الامريكية بزيارة ليفى أشكول

وابا اييان ونشرت صحيفة « شيكاغو تريبيون » في ٢٢ مايو عام

١٩٦٧ مقالا تقول فيه ان الولايات المتحدة الامريكية ملتزمة بأمن

اسرائيل وهذا الالتزام يكمن وراء الجهود التى تبذلها حكومة

جونسون وراء الكواليس .

ونقلت اذاعة واشنطن في ٢٧ مايو ١٩٦٧ تصريحاً للسناتور واين

موريس طالب جونسون بارسال الاسطول الامريكى لاقتحام

بحصار العقبة .

والمعجب ان ابا اييان وزير الخارجية الاسرائيلية قام بحركة

مسرحة لمقابلة الرئيس جونسون اذ طلب الاجتماع بالرئيس

الامريكى قبل الموعد المحدد لمقابلته بساعتين واذيع انه ابلغه ان

موقية عاجلة من حكومته ابلغته ان القوات السورية المصرية ستهجم

على اسرائيل خلال ٢٤ ساعة وكان القصد من هذه المناورة ذو

الرماد فى العيون والقاء سحابة من الدخان على المحادثات الامريكية

الاسرائيلية ، وقام مستشار جونسون وقتها باستدعاء السفير

العربى واعرب له عن قلق حكومته من هذه الانباء رغم انه اعترف

له بأن المعلومات التي لدى واشنطن تؤكد عدم صحة هذا الكلام ، وأبلغه رسالة شفوية من جونسون ناشد فيها الجمهورية العربية المتحدة ضبط النفس والامتناع عن أي عمليات عسكرية هجومية .

وكانت إسرائيل قد حصلت رغم هذه السحب الكثيفة التي تثيرها حولها على معونات حربية واسعة النطاق وأخذت تشتري السلاح من أي مصدر غربي وبلغت المساعدات العسكرية إلى إسرائيل عشرة الاف مليون دولار في الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ ، ١٩٦٥ دون أن تستنزف مواردها الخاصة .

وفي مدى أربع سنوات من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٤ حصلت إسرائيل من ألمانيا الغربية مجانا على اسلحة قدر ثمنها بمبلغ ٦٤ مليون دولار وتكونت هذه الاسلحة من ٦٠ طائرة هليكوبتر ونورداتلس للنقل وفوكاماستر للتدريب ، ٩٠٠ لوري ومقطورة ، ٦٠٠ دبابة طراز م-٤٨ وعدد من المدافع والصواريخ المضادة للدبابات ومظلات الهبوط وسيارات الاسعاف واضطرت ألمانيا إلى أن تضع حدا لهذا بعد أن انفضح أمرها أمام العرب ، كذلك حصلت إسرائيل على السلاح من فرنسا في بداية الأمر وتلقت اعدادا وفيرة من الطائرات والدبابات بدون حساب أيام العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وبعده ، ولكن فرنسا أصبحت أقل حماسة لتسليح إسرائيل بعد أن حصلت الجزائر على استقلالها وتوثقت علاقاتها مع العرب .

ورغم كل هذه المعونات العسكرية التي تدفقت على إسرائيل كسيل العرم فإن المسؤولين الاسرائيليين كانوا يزعمون التمسك بمبادئ السلم الدولي ومسك الأعصاب فقد صرح وزير الدفاع الاسرائيلي موسى ديان في مؤتمر صحفي عقده في مساء السبت ٣١ يونيو وطبقا لتحقيق جريدة « اورشليم بوست » بأن وقت الرق العسكري على الحصار المصري المضروب حول مضيق طبرنة قلة فوات ، ولكن التنبؤ بما يمكن أن تؤدي اليه الجهود الدبلوماسية

لا يزال سابقا لاوانه ، واضاف موسى ديان قائلا ، لقد اختارت الوزارة قبل دخولي فيها طريق العمل الدبلوماسي ولا بد ان نتيج للوزارة فرصة اختبار امكانيات هذا الطريق .

والواقع ان العمل الذى قامت به الجمهورية العربية المتحدة فى خليج العقبة ومضيق تيران امر مشروع ويتمشى مع سيادة الدولة والقوانين الدولية .

فان خليج العقبة خليج عربى مفلق ليست له اى صفة دولية ومياهه ومداخله ومضايقه عربية ، وغير مفتوحة للمياه الدولية اقرت هذا وايدته الموائيق الدولية وقرارات الامم المتحدة .

اما ميناء « ايلات » الذى يصدر منه البترول الايرانى الى اسرائيل بنسبة تصل الى ٩٠ ٪ من قيمة الصادرات البترولية فقد اقيم على ارض فلسطينية اهداها جلوب القائد البريطانى للقوات الاردنية الى اليهود عام ١٩٤٩ عقب الهدنة مباشرة وكانت تشغل المكان نقطة حراسة فلسطينية اسمها « الرشراش » وقد حولها اليهود الى ميناء « ايلات » وكانت السيطرة العربية على الخليج كاملة حتى وقوع العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وتقرر وجود قوات طوارئ دولية سمحت لاسرائيل بالمرور وتوجد عند مدخل الخليج جزيرة تيران وتبعد عن الشاطئ المصرى باربعة اميال ، وشرق جزيرة تيران تقع جزيرة « صنافير » وتبعد ميلين عن تيران اما ساحل الخليج فيمتد لمسافة ٢٨٠ كيلو مترا وتقع عليه حدود الجمهورية العربية المتحدة ، والمملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية .

ويبلغ اتساع الخليج نحو سبعة اميال وهو مياه اقليمية مصرية ليس لاسرائيل اى سيطرة عليها او تدخل فى امرها .

ولذلك فان اعلان اغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الاسرائيلية والسفن التى تحمل مواد استراتيجية لاسرائيل ولو كانت السفن

تغير اسرائيلية عمل مشروع تقره القوانين الدولية ولا غبار عليه بالمرّة .

وقد ثارت حول خليج العقبة ومضيق تيران مناقشات كثيرة امتلأت بها انهر الصحف الغربية ولكن الحقائق التاريخية كما سبق ان وضحنا تثبت ان هذا الخليج خليج عربى مارست الدولة العربية سيادتها عليه منذ اقدم العصور وبدون منازعة ، وقد مارست الدولة العثمانية سيادتها على خليج العقبة حتى الحرب العالمية الاولى ثم ورثت الدول العربية بعد انفصالها عن الدولة العثمانية في اعقاب تلك الحرب حقوق السيادة على خليج العقبة ومارستها بصفة مستمرة وبدون منازعة ، وزيادة على ذلك كانت الدول العربية تحرص على اعتبار مياه خليج العقبة مياهها داخلية وذلك لانه يتغلغل في اراضى الدول العربية لمسافة ١٠٠ ميل باتساع لا يزيد في اوسع اجزائه على ١٨ ميلا الامر الذى يجعل الملاحة فيه بدون رقابة امرا يمس امن تلك الدول . كما ان الدول العربية كانت تنظر الى خليج العقبة باعتبار انه ممر له اهميته الكبرى للعالم الاسلامى لانه الطريق التاريخى للحج الى بيت الله الحرام كما ان مضيق تيران يقع فى داخل المياه الاقليمية المصرية التى تبلغ ١٢ ميلا بحريا وفقا للقرار الجمهورى الصادر فى ١٧ فبراير عام ١٩٥٨ . والحقيقة التى لا تغيب عن اى منصف من رجال القانون الدولى ان الركنين اللذين حددتهما محكمة العدل الدولية لاعتبار المضيق مضيقا دوليا غير متوافرين فيه ، لان مضيق تيران يربطه بين بحر عام هو البحر الاحمر ، وبحر وطنى وهو خليج العقبة ولان مضيق تيران لم يسبق ان وصف بانه مضيق دولى كما ان الفترة التى اعقبت عدوان ١٩٥٦ الى عام ١٩٦٧ ليست صالحة لان تكون مرفا دوليا لانها جاءت على اثر عدوان ثلاثى غاشم على البلاد .

الفصل الثانى

التجسس وحرب الأثير

تتكشف بعد الحروب دائما الاخطاء وتتجلى الاعمال ، وتظهر الحقائق ، فتستطيع الجيوش بعد ذلك أن تتبين فى أى فلك كانت تدور ، وعلى أى خطة كانت تسير ، وما مدى فعالية هذه الخطة فى احراز النصر ، أو جلب الهزيمة ، كما يتكشف بعد الحروب دور القادة والجنود ، والتيارات الواضحة والخفية التى سادت المعركة فيتخذ القادة من ذلك عبرة لهم فيما هو مقبل من الايام وقادم من المعارك .

وقد استطاع العدو خلال المعركة ان يستخدم وسائل خسيصة ولجأ الى الخبث والخديعة ، وتؤكد الصحف الغربية ان المخابرات الاستعمارية استطاعت أن تصل الى معلومات فى غاية الخطورة عن تعداد القوات المصرية المسلحة ، وتوزيعها وعدد وأنواع الطائرات الموجودة فى كافة القواعد الجوية المصرية مما سهل للعدو الاسرائيلى

مهمة ضرب المطارات الجوية ، والقضاء على قوة الطيران في فترة وجيزة .

كما توصلت المخابرات الاسرائيلية ايضا الى معرفة الشفرة وسرعة ذبذبات الاتصال اللاسلكي بين وحدات القوات المصرية وقد استفادت اسرائيل من ذلك الى ابعد الحدود في المعارك التي نشبت بين القوات المصرية والاسرائيلية .

وذكر الكاتب الكبير الاستاذ محمد حسنين هيكل في ٢٤ مايو ١٩٦٨ مقالا ذكر فيه ان اسرائيل قد وصلت الى حد انها كشفت صراحة انها تتسمع على كل المواصلات اللاسلكية داخل العالم العربى وبين العالم الخارجى ، كما انها كشفت تلميحا انها كانت تملك الكثير من مفاتيح الشفرة السرية العربية ، وكان من السهل تصور المصدر الذى حصلت منه اسرائيل على كل ما حصلت عليه من مفاتيح الشفرات السرية وهو وكالة الامن القومى الأمريكى .

ويروى كهن مؤلف كتاب « محطمو الرموز » انه في زيارة لمبنى وكالة الامن القومى فى واشنطن شاهد بنفسه مفاتيح الشفرة السرية الخاصة بقيادة الأركان العامة للجيش السورى .

ووكالة الامن القومى الأمريكى هي الوكالة السرية التى تعمل لحسابها كل سفن التجسس الأمريكية فى العالم وبينها السفينة « لىبرتى » صاحبة الدور المشبوه المشهور فى حرب الأيام الستة .

ونشرت جريدة الفيجارو الفرنسية مقالا ذكرت فيه ان عملاء اسرائيل استطاعوا التقاط الحديث التليفونى بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين ملك الاردن .

وجلا المؤلف الروسى بيليايف وزميله فى كتاب « اطلاق الحماسة » دور بعض الجواسيس الاسرائيليين فى سوريا ومنهم ابلى كوعين وهو العميل رقم ٨٨ الذى يحمل لقب كمال امين

ويعيش في قلب مدينة دمشق وقد ارسل الى ادارة المخابرات الاسرائيلية اشارة جاء فيها ان ٣٠ مدفع ميدان عيار ١٢٠ ملليمتر، تترصد على الحدود السورية في مواجهة مستعمرة «ميشمار» خياردين « الاسرائيلية ، وكان جهاز الارسال عبارة عن ماكينة حلاقة يخفيها في الحمام !؟

اما دور السفينة « لوبرتي » فلم يعد خافيا على احد فقد تناول دورها المعلقون السياسيون والعسكريون بكثير من التحليل .

وذكرت النيوزويك الامريكية ان السفينة « لوبرتي » التي كانت راسية على بعد ١٥ ميلا من شاطئ سيناء كانت مهمتها التقاط الرسائل التي تصدر من غرفة العمليات من جهة سيناء وفك شفرتها على الفور ونقلها ، وهذه السفينة هي احدث قطع التجسس ومزودة بأجهزة الكترونية وتستطيع الاتصال بأى مكان في العالم عن طريق الأقمار الصناعية .

وتردد ان اسرائيل استطاعت الحصول على نتائج عمليات استطلاع وتصوير لجميع المطارات عن طريق الطائرات يو ١٢ والأقمار الصناعية في خرائط دقيقة ومفصلة ، وقد استخدمت هذه المعلومات في ضرب المطارات المصرية . فضلا عن ان السفن التي كانت موجودة في شمال العريش وتتبع الاسطول السادس كانت بها اجهزة شوشرة على الرادار حتى تعجز اجهزة الرادار المصرية عن التعرف على الطائرات المغيرة ، كما تمت عمليات شوشرة على اجهزة الاتصال بين الدبابات وبعضها وبين الدبابات وقياداتها .

ويقول المؤلفون الروس ان لوبرتي لم ترفع رايتها ، ولم يكن هناك أى علم على موضع القيادة كما ان القبطان لم يستجيب للمطالبة الملحة بتحديد جنسية السفينة وحينئذ عادت زوارق الطوربيد الى اطلاق قذائفها على السفينة المصرية . ولكن فيجأة

رفعت السفينة ليبرتي علم الولايات المتحدة الأمريكية ، وسرعان
ما انسحبت زوارق الطوربيد الاسرائيلية وبادرت تل اييب بطلب
(المفرة) من واشنطن ؟ !

وسفن التجسس وحرب الأثير ، والتقاط الرسائل اللاسلكية
ونحوها أساليب حربية ظهرت منذ الحرب العالمية الثانية ، فان
السرعة العظيمة في القتال بين الطائرات اقتضت من الفريقين أن
يعتمدوا اعتمادا لا غنى عنه عن التليفون اللاسلكى والمخاطبات
اللاسلكية اذ لم يكن منها بد لحشد أسراب القاذفات وتوجيهها
ولتوجيه المطاردات الى القاذفات المغيرة أيضا وقد كان رادار عماد
الألمان والانجليز فيما اتخذوه من وسائل الدفاع ضد الطائرات
ورادار هو العين اللاسلكية الساحرة التى تبين الطائرات المغيرة
وتعين مواقعها .

وقد بدا الانجليز يتخذون الأساليب اللاسلكية المضادة في
خريف عام ١٩٤٠ يوم بدأت قاذفات جورنج تشن غاراتها في
الليل على مدن انجلترا ، وكان طيارو القاذفات الألمانية يوجهون
الى اهدافهم باتباع اشعة ضيقة من الرادار ترسل من قواعد
على سواحل فرنسا وبلجيكا ، وكانت هذه الخطوط تقطعها خطوط
اخرى مرسلة في الفضاء من قواعد في هولندا والنرويج وتكون
الاماكن التى تتقاطع فيها اندارا للطيارين بأنهم دنوا من اهدافهم .

وقد احرز الألمان اول ظفر في ادخال الفساد على عمل الرادار
ففى شهر فبراير عام ١٩٤٢ تسللت البوارج الألمانية شارنهورست
وجيايزناد، والبرنس اويجن، من ثغر برست واتجهت الى بحر المانش
وقد لاحظ خبراء الرادار على الساحل اضطرابا في اجهزتهم كان
يسير في اول الامر ثم ازداد قوة ، فلما بلغت البوارج مضيق
دوفر كان الاضطراب لا يزال مستمرا ، فمنع الانجليز من رؤية

سفنهم وطائراتهم ومن توجيهها ، ومرت البوارج الألمانية وهم آمنة ، ومن الأجهزة الحديثة جهاز لحدث اللفط سهل حملة فى طائرة وهو جهاز بارع فأحد أقسامه جزء مستقل يفتش مناطق أمواج الراديو تفتيشا آليا ، فإذا تبين إشارة ما على حديث دائي ظهرت نقطة من الضوء على لوحة ، وما على عامل الجهاز حينئذ إلا أن يستوثق من مصدر الإشارة . ويستطيع أن يمحو الحديث الدائر كما يستطيع أن يسجله فى نفس الوقت . وبلغ من نجاح هذا الجهاز أن استخدمه الألمان فى الحرب الأخيرة ، واستعمله الحلفاء فى ليلة ٢٢ : ٢٣ أكتوبر عام ١٩٤٣ يوم شنت القاذفات البريطانية هجوما قويا على مدينة « كاسل » وأدرك الألمان خلال الفارة أن خلا قد وقع وسمع رصاد الراديو البريطانيين يقول لطيارى المطاردات الليلية التى تأتمر بأمره « حذار من صوت آخر » وحذرهم من أن يضلهم العدو ، وبعد أن انفجر الألمان بالسباب تدخل صوت المذيع الانجليزى مقلدا صوت أحد الطيارين وقال : هذا الانجليزى يلعن ويسب فقال الألماني « ليس الذى يسب هو الانجليزى بل أنا » ولم تكد الفارة تشرف على ختامها حتى بلغ من اختلاط الأمر على الطيارين الألمان أن صار يسب بعضهم بعضا .

وقد انشأ الألمان الى جانب هذه الوسائل للتجسس والتقاط الأخبار ، والتشويش وخديعة المقاتلين ادارة خاصة للاذاعة الدفاعية رجالها من خبراء الراديو ، وقد قامت بالتشويش على نطاق واسع فوق الموجات اللاسلكية على أوروبا وشحنت بقوة لخليط من أنغام أرغن بدوى ، وذبذبة مناشير موسيقية ، وشفشقة عصفير ، ولفظ أصوات ، ورنين مطارق السندان ، وصفارات بخارية وإشارات مورس البرقية الصاخبة .

وأخذت انجلترا بثارها مستعينة بأجهزة اضافية للارسال

واذاعت البرامج ذاتها على موجات متعددة قد تصل الى ١٢ موجة مختلفة الأطوال .

وكانت غارات الحلفاء التي سبقت الغزو قد انزلت بنظام الرادار الألماني على ساحل أوروبا الغربية وهنا خطيرا ، ولكن الألمان كان لهم بين شربورج ونهر السكلت أكثر من مائة محطة رادار ، وكان لابد من القضاء على محطات الرادار حتى يكفل النجاح للجيش التي تهبط في منطقة نورماندى .

وحلقت أربع وعشرون قاذفة بريطانية وأمريكية مجهزة بأدوات اللفظ على ارتفاع ١٨ ألف قدم ، وظلت ساعات متوالية ترسل الاشارات التي تحدث الاضطرابات في محطات الرادار الألمانية في شبه جزيرة شربورج ولم يقتصر اثر عملها على اخفاء اسراب القاذفات المقاتلة بل اخفت أيضا الطائرات والسباحات التي تحمل الجنود ، ومنعت الألمان من تبين عمارة الغزو نفسها ، ولما دنت السفن من الساحل اشتركت أجهزتها في اطلاق اشارات اللفظ والاضطراب .

وهكذا يقوم العلم بدور كبير في تيسير دفة المعركة ، وهذا درس تعلمناه من معارك يونيو ومن سفينة التجسس ليبيرتي ومن التقاط الاشارات اللاسلكية بين القوات المصرية . ومن تعطيل الأجهزة اللاسلكية في الدبابات ، ومن التقاط الأحاديث التليفونية بين كبار المسؤولين حتى بلغ بهم الأمر على حد تعبير مؤلفي كتاب اطلاق الحماسة من تسجيل الحديث التليفوني بين السيد الرئيس عبد الناصر والملك حسين ، ومن التشويش على كثير من الاشارات اللاسلكية ومن ارسال توجيهات زائفة للجنود في شبه جزيرة سيناء للانسحاب ، فهذه الاحداث كلها كان لها مثيل في الحرب العالمية الأخيرة وثبتت قدرة العلم والتكنولوجيا في خوض المعارك ،

ولكن الذى يفريننا فى ذلك كله ان اسرائيل كانت تحارب بقوى
تزيد عن قواها ، واننا منينا بهزيمة تزيد عما نستحق كما ان
اسرائيل احرزت كسبا فوق ما تستحق؟!.. ولولا مساندة
الاستعمار لاسرائيل بوضعها ركيزة فى الشرق الاوسط ما تمكنت
اسرائيل من الحصول على ادنى ظفر فى المعركة : وما كان لخطية
الحمامة ان تنفذ او تخرج الى حيز الوجود . وهذه حقيقة واضحة
لا تخفى على اعين القادة فى انحاء العالم بل لا تخفى عن اعين
الشعوب ، ومهما كابر اعوان اسرائيل ، وامعنوا فى اللجاج فان
هذا لا ينقص من الحقيقة شيئا .

الفصل الثالث

الزحف المقدس

كان الظلام يسود القاهرة ، بعد ان هبط الليل وتوارى قرص الشمس في الأفق ، واحتجبت الغزالة في خدرها .

وكان اليوم يوم الجمعة وهو يوم الدعة والراحة عند كثير من الناس بيد انك كنت تلاحظ الناس وقد تلاشى من وجوههم أى القلق للدعة أو الراحة ، فقد خلف العدوان الصهيونى على وجوه الناس أمارات كثيية من الحزن والشجن . وكان الناس يهرعون الى بيوتهم فى لهفة لا لان الفارات الجوية تخيفهم ولا لان الظلام يهولهم ولكن لانهم كانوا على موعد مع عبد الناصر .

نعم فقد كان عبد الناصر قرر ان يوجه خطابا الى الشعب في نفس اليوم فى الساعة الثامنة الاثنا من طريق الاذاعة والتليفزيون . وكان بعض الشباب يحمل فى يديه « ألوانا مختلفة من الراديو الترانزستور » تتصاعد منه موسيقى حماسية حارة تلهب النفوس

وثير الحمية في القلوب ، كما كانت تتصاعد منه أغنيات جماعية ،
ونداءات حارة يرددها المذيع بلهجة متوقدة ونبرات مثيرة .

والقى عبد الناصر كلماته على الشعب في يوم ٩ يونيو عام ١٩٦٧
وترأت صورة عبد الناصر على شاشة التلفزيون وقد ارتسمت
عليها امارات الحزن والأسى ، وبدا كأن الرئيس قد قطع من عمره
سنوات الى الامام . فقد بدا كأن الشيب قد ملا فؤديه .

وانصت الناس لكلمات عبد الناصر . كان يتكلم في صدق وايمان
وفي حب واخلاص ، وقرر عبد الناصر ان يتنحى عن الحكم ويكلف
السيد زكريا محيي الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية وان
يعمل بالنصوص الدستورية المقررة ، وتعهد أن يضع كل ما عنده
تحت طلبه ، وفي خدمة الظروف الخطيرة التي يجتازها الشعب
وقال « لقد كنت اقول لكم دائما ان الامة هي الباقية وان اى فرد
مهما كان دوره ، ومهما بلغ اسهامه في قضايا وطنه هو اداة لارادة
شعبية وليس هو صانع هذه الارادة الشعبية ، وان قوى الاستعمار
تتصور ان جمال عبد الناصر هو عدوها ، واريد ان يكون واضحا
امامهم انها الامة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر والقوى
المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائما بأنها
امبراطورية لعبد الناصر وليس ذلك صحيحا لان امل الوحدة العربية
يبدأ قبل جمال عبد الناصر وسيبقى بعد جمال عبد الناصر » .

ولم يكذب بيان جمال عبد الناصر يذاع على الشعب حتى توافدت
بجموع الشعب من كل مكان رغم ما كان يسود القاهرة من ظلام
دامس واتجهت صوب مجلس الأمة وصوب مبنى الاذاعة والتلفزيون
وصوب مجلس الوزراء ، وظلت تهتف باسم عبد الناصر فائلة :
لا رئيس الا عبد الناصر ، كما هتفت الجماهير الفقيرة قائلة
« سجل يا سادات احنا عايزين ناصر بالذات » .

وترأت على شاشة التلفزيون صورة واضحة لجموع الشعب
الففيرة وهي تنتقل في كل مكان هاتفة باسم عبد الناصر ، ورغم

صفارات الانذار التى انطلقت فى القاهرة فان جموع الشعب لم تفرق ولم تستجب لتلك الدعوات الموجهة اليها من الميكروفونات المعلقة فى عربات بوليس النجدة .

وتدفقت الجموع الى بيت الرئيس جمال عبد الناصر ، وصوتها يخترق كل الحواجز اليه وحينئذ قرر عبد الناصر ان يخضع لارادة الشعب لان صوت جماهير الشعب بالنسبة اليه امر لا يرد فاستقر رأيه ان يبقى فى مكانه وفى الموضع الذى يريده الشعب منه ان يبقى حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من ان نزيل آثار العدوان .

وقد كان من المقرر ان يتوجه السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى اليوم التالى لتنحيه ليلقى كلمته الى ممثلى الشعب فى مجلس الأمة ولكن وصوله الى المجلس كان استحالة مادية فى شوارع غطت عليها امواج الجماهير المتدفقة وقد املى السيد انور السادات تليفونيا كلمته التى كان ينوى ان يلقيها على مسامع ممثلى الأمة .

وما كاد السيد انور السادات يلقي كلمة السيد الرئيس ويلدّيع السيد زكريا محيى الدين بيانه حتى غمرت الفرحة الجموع الفقيرة التى تحيط بمجلس الأمة وتسد الشوارع والطرق ، وانهارت الحناجر بالهتاف ، ودمت الاكف من التصفيق والتهليل بحياة الرئيس عبد الناصر .

وكان يوم ١٠ يونيو عام ١٩٦٨ يوما مشهودا كما كانت ليلة يوم ٩ يونيو من ليالى العمر الخالدة . التى وضحت مدى ما يكنه الشعب نحو قائده ومدى ما يكنه القائد نحو شعبه الذى يعتقد انه هو القائد وهو المعلم وهو الخالد .

وكان يوما ٩ ، ١٠ يونيو حجة ناصعة للحب المكين فى قلوب الشعب ودليل قاطع على ان الثورة ماضية فى طريقها الى الامام لتمحو آثار العدوان .

الفصل الرابع

نخب الانتصار

سرت الفرحة في قلوب الصهاينة عقب معارك يونيو واعتقدوا أنهم كسبوا الحرب بعد أن خاضو غمار الحرب التي ظنوا أنها الحرب التي تنتهي بها كل الحروب .

ولكن دهاقين السياسة الاسرائيلية ظلوا يتوجسون خيفة من القوات العربية وأخذوا الحذر مخافة ان تدهمهم هذه القوات أو تحيل أحلامهم البعيدة الى قطعة من العذاب !

ولكن ماذا يفعل موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي ورئيس المؤسسة العسكرية في حكومة ليفي اشكول وهي هيئة اركان الحرب ووراءها الغالبية العظمى من الضباط المحترفين في الجيش الاسرائيلي ، وأجهزة المخابرات العسكرية والسياسية ومعاهم الدراسات الاستراتيجية التابعة لهيئة اركان الحرب الاسرائيلي

وكل التنظيمات التي يمتد إليها اشراف وتوجيه الجيش الاسرائيلي وافواج الضباط السابقين الذين يمسكون بكل مرافق اسرائيل الحيوية ويتلقون تعليماتهم من الجيش بصرف النظر عما تقوم السلطة المدنية الرسمية وجماعة السياسيين الذين ربطوا لسبب او آخر حياتهم السياسية بدور الجيش الاسرائيلي .

ماذا يفعل موسى ديان امام هؤلاء جميعا . لا بد ان يظهر امامهم من ضروب الزهو والفخر ما يرضى كبريائه ويجعل رأسه مرفوعا بين هؤلاء جميعا وهو الذي يسعى دائما ان تكون مقاليد السلطة في يده ؟ ! ويلقى عليه الاضواء ويجمع حوله مراسلي الصحف والاذاعات الاجنبية .

هل يعقد موسى ديان اجتماعا لكل هؤلاء ليبرز شخصيته ، ويتباهى عجبا وخيلاء . حقا ان موسى ديان في الثانية والخمسين من عمره ولكنه يحس انه في حاجة الى ان يحاط بهالة من الاعجاب والتقدير ؟ !

الباب الثالث

نكسات وانتصارات

الفصل الأول

ماذا تصنعون بالحياة ؟

كست ادرى هل كان موسى ديان يعرف أن الحرب مد وجزر وهزيمة وانتصار أم غاب هذا عن ذهنه وهو فرح ثمل يستقبل زواره يوم زواج ابنه وابنته في ٢٢ يوليو عام ١٩٦٧ .

ولكن الباحث في التاريخ العسكرى يصل الى نتيجة واضحة لا شك فيها وهي ان الانكسارات قد تتلوها الانتصارات وان النكسات قد تؤدي الى الفوز في الغزوات . ولنا في التاريخ الاسلامى والتاريخ الاوربى نماذج كثيرة لا تحصى ولا تستقصى . بل لنا في تاريخ الفراعنة امثلة كثيرة لا يكاد يحصرها الباحث .»

ولدينا فى غزوة أحد دليل ناصع البيان فقد كاد المسلمون يحصلون على الفوز فى المعركة وتقهقر المشركون بيد أن المسلمين لما راوا تقهقر المشركين أهمل الرماة وصية الرسول اياهم بالثبات

في اماكنهم حتى يعلن هو انتهاء القتال ، وانكفوا يجمعون ما ترك العدو وراءهم من الغنيمة والاسلاب ، وبهض فيهم عبد الله بن جبير خطيبا يحذرهم من مغبة ما يصنعون ، ومن سوء ما يفعلون فلم يسمعو بل اندفعوا يتعجلون الغنيمة ويستولون على الاسلاب فانتهز خالد بن الوليد فرصة خاو الجبل من الرماة وكان لم يعلن اسلامه بعد فأتى المسلمين من خلفهم وأعمل الرماح في ظهورهم ، واضطرب المسلمون لهذه المفاجأة واختل نظامهم واضطربت صفوفهم حتى تعرضت حياة الرسول للخطر الداهم والشر المبين وشاعت اشاعة بين الجنود أن محمدا قد مات وقام ابن قميئة وكان من المشركين وخطب في الناس قائلا : الا ان محمدا قد قتل .

وتخاذل المسلمون وتسرب الياس الى قلوبهم الا ان الحمية ثارت في نفوس جماعة منهم وعلى رأسهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك الذي أخذته الحمية وصاح في نخوة عربية وصوت جهورى : ماذا تصنعون بالحياة من بعده ؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واحاط نفر من المسلمين برسول الله وأخذوا يتلقون عنه السهام والنبال وطعنات السيوف في عزيمة وثبات .

والحق يقال ان العدو قد استخدم « الاشاعة » في تحطيم الروح المعنوية لجيش المسلمين ، والاشاعة سلاح من أسلحة الحرب حتى في العصر الحديث ، فآثر ذلك في نفسية المقاتلين .

وعلى الرغم مما بذله المسلمون من تضحيات في سبيل الحفاظ على حياة الرسول فقد جرح الرسول في وجنته وكسرت رباعيته ، وشج في رأسه كما انه وقع في احدى الحفر التي حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، واستشهد من المسلمين اكثر من سبعين .

وأظهر المسلمون في المعركة من البسالة ما أذهل العقول ، فقد صاح حمزة بن عبد المطلب صيحة القتال يوم أحد « أمت ، أمت » واندفع الى قلب جيش قريش فلقى طلحة بن أبي طلحة حامل لواء مكة فضربه حمزة بالسيف على يده اليمنى فتناول اللواء باليسرى فقطعها حمزة بسيفه ، فضم طلحة اللواء بلدراعيه الى صدره فانهازل عليه حمزة بضربة أردته صريعا ، واندفع ابو دجانة وفي يده سيفه النبي وعلى رأسه عصاة الموت فجعل لا يلقى أحدا الا قتله حتى شق صفوف المشركين فرأى انسانا يخمش الناس خمشا شديدا ، فحمل عليه السيف فولول فاذا هند بنت عتبة فارتد عنها مكرما سيف الرسول أن يضرب به امرأة .

وكانت هند بنت عتبة هذه قد أوعزت الى وحش الحبشى أن يقتل حمزة ويرديه قتيلا وقالت : ان قتلت حمزة عم النبي فانت عتيق وروى الحبشى قال : « فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة فلم أخطئ بها شيئا » .

وقد تمكن وحش الحبشى أن يصرع حمزة على حين غرة وجاءت هند بنت عتبة فبقرت بطن حمزة بن عبد المطلب وأخذت كبده فلاكتها حتى اذا عجزت عن أكلها لفظتها .

وحزن الرسول الكريم لمصرع حمزة حزنا شديدا وقال : لن أصاب بمثلك أبدا ، ما وقفت موقفا قط أغيظ الى من هذا !

وقد كان لاندحار المسلمين في أحد أثر كبير في نفوسهم فعملوا على استرداد كرامتهم الضائعة حتى يحلوا الهزيمة الى فوز والنكسة الى نصر ، وهذا ما حدث تماما فانتصر المسلمون بعد ذلك في عدة سرايا منها سرية بنى الرجيع (هـ) وغزوه بئر معونة (هـ) وغزوة بنى النضير (هـ) وكان يهود بنى النضير قد بلغ استخفافهم بالمسلمين والاستهانة بشأنهم أن فكروا في قتل محمد رأس هذه الجماعة للتخلص منها بيد أن محمدا وأصحابه ساروا اليهم فتحصروا

اليهود في اطامهم فحاصروهم وامر بقطع النخيل وتحريقه ثم القى الله الرعب في قلوبهم فسالوا الرسول ان يجايبهم ويكشف عن دمائهم على ان ياخذوا معهم ما تحمل الابل من المال الا الدروع فاجابهم الرسول الى ذلك . وكان الرسول قد ارسل اليهم محمد بن سلمة فقال لهم : ان رسول الله ارسلني اليكم ان اخرجوا من بلادى ، لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما همتم من الفديوى . لقد اجلتكم عشرا ، فمن رنى بعد ذلك ضربت عنقه » .

وانتصر المسلمون بعد ذلك في غزوة الاحزاب واستطاعوا ان يثأروا لما حاق بهم في أحد وجابهوا قوة كبيرة من المشركين بيد انهم انتصروا عليهم ، وأشار سلمان الفارس على الرسول بحفر الخندق فعمل الرسول بنفسه في حفره ترغيبا للمسلمين في الاجر وفرغوا من حفره قبل وصول قريش على الرغم من تسلسل المنافقين وهربهم اثناء العمل دون استئذان الرسول .

وكان الخندق شمالي المدينة لأن الجهات الأخرى كانت محصنة بالجبال والنخيل والبيوت واختلف المؤرخون في مكان الخندق وطوله ويظهر لنا انهم خطوه في الجهة الشرقية الى الشمال فالقرب ثم الى الجنوب قليلا ، واذا صحت الرواية القائلة بأن الرسول قد وكل الى كل عشرة من المسلمين ان يحفروا قطعة من الخندق طولها اربعون ذراعا فاننا نستطيع ان نستنتج ان طول الخندق قد بلغ اثني عشر الف ذراع على الأقل اذا فرضنا انه لم يعمل في حفر الخندق الا رجال الجيش الذين اتفقت المصادر على انهم كانوا ثلاثة آلاف وانتصر المسلمون نصرا مؤزرا في غزوة الخندق بعد حصار طويل للمشركين كما انتصروا بعد ذلك في غزوات أخرى انتهت بغزوة الفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا .

وهكذا تحولت الهزيمة الى انتصار ، كما تحولت النكسة الى فوز ، واستفاد المسلمون من المحنة التي مرت بهم .

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى للمسلمين في كتابه العزيز مثلاً آخر استمدّه من غزوة حنين اذ قال عز وجل « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم انزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ، وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » .

وكان المسلمون قد تفرقوا في اول المعركة وولوا الادبار لما وجدوا من قوة المشركين اذ كان على رأس هوازن رجل على جمل احمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل فكان كلما ادرك المسلمين طعن برمحه وهوازن وثقيف وأنصارهما منحدرين من ورائه يطعنون وثارت بمحمد الحمية فأراد أن يندفع بيلفته البيضاء في صدر هذا السيل المتدفق من جيوش العدو ولكن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أمسك بخطام بيلته وحال دون تقدمهما ، وتفرق جمع المسلمين مذعورين بيد أن العباس بن عبد المطلب نهض في المسلمين خطيباً وهو يقول : يا معشر الأنصار الذين أووا ونصروا ، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ، أن محمداً حي فهللوا .

وهنا تجمع جيش المسلمين مرة ثانية واندفعوا الى المعركة مستهينين بالموت في سبيل الله حتى تم لهم النصر المبين ، وفر المشركون لا يلوون على شيء تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين ، وفيها اثنان وعشرون ألفاً من الأبل ، وأربعون ألفاً من الشاء ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، أما الأسرى فقد بلغ عددهم نحو ستة آلاف أسير .

الفصل الثانى

الصليبيون والنصار

واذا تعدينا عهد الرسول الى القرن السابع الهجرى ووقفنا عند الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة الملك لويس التاسع ملك فرنسا عام ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) وجدنا هذه الحملة تتوغل فى الاراضى المصرية ، وتنتصر فى كثير من المعارك وتستولى على دمياط ومحلة المنصورة حتى لاح شبح الخطر الداهم قويا رهيبا ، ولكن المصريين صمدوا فى وجه العدو المغير وانزلوا بالصليبيين افدح هزيمة نزلت منذ موقعة حطين ، وفرقت جموعهم قتلا واسرا ، واسروا الملك لويس التاسع وامراءه وذلك فى المحرم عام ٦٤٨ هـ ابريل عام ١٢٥٠ م) .

وقد واجه العالم الاسلامى فى ذلك الوقت خطرا مروعا ، اذ اخرجت جموع التتار من سهول آسيا الوسطى بقيادة جنزكيز خان واجتاحت اواسط الصين وشمال غربى الهند وخراسان ونفذت الى سهول روسيا حتى نهر الدون ، وانسابت نحو الجنوب الغربى

واجتاحت فارس في سرعة مذهلة ، ثم اتجهت هذه الجموع البربرية نحو الشرق بقيادة عاهلها هولوكو ، وزحف التتار على بغداد وحطموا كل مقاومة واضطر الخليفة الى التسليم ودخل التتار الى بغداد دخول الحيوانات الضارية ، والوحوش الكاسرة فقتلوا مئات الالوف من الناس ، ونهبوا الخزائن والذخائر وقضوا على الخلافة العباسية وعلى معالم الحضارة الاسلامية ثم قتلوا الخليفة المستعصم بالله وافراد أسرته واكابر دولته في صفر عام ٦٥٦ هـ فبراير عام (١٢٥٨ م) . واسدل الستار على حياة الدولة العباسية بعد خمسة قرون في الحكم .

وقد الحق جنكيز خان بالعالم الاسلامي كثيرا من الاضرار ، واهان المقدسات والحرمان حتى أن مساجد بخارى التي كانت مقر التقى والورع ومصدر العلم والحكمة اتخذ فيها جنكيز خان اسطبلات للخيول المغولية واسلم للسيف الكثير من سكان سمرقند وبلغ وساق عددا كبيرا من الأسرى المسلمين الى ساحة الموت حتى اعمل السيف في رقابهم دون رحمة وبعد أن استولى على بخارى عام ١٢١٩ م وصف نفسه في احدى خطبه بأنه عذاب الله أرسله الى الناس عقابا لهم على خطاياهم .

ويقول ابن الأثير المؤرخ المعاصر لجنكيز خان انه كان ينتفض قرقا عند سماعه بهذه الأهوال ويود لو أن أمه لم تلده وحتى بعد مضي قرن عندما زار ابن بطوطة بخارى وسمرقند وبلغ وغيرها من بلاد ما وراء النهر فانه وجدها لا تزال كومات من الخرائب والانتقاض.

وكان جنكيز خان او تيموجين أي الصلب المتين يقود حملة لا اخلاقية لا دينية الى جانب غزوه العسكري المدمر ومن ذلك أنه اباح للرجل حق شراء زوجة وله أن يتزوج من اختين ويتخذ اكثر من محظية كما ألزم التتار عند رأس كل سنة بعرض سائر بناتهم الابكار على السلطان ليختار منهن لنفسه ولاولاده ، ودعا الى عدم

تسل الثياب بل يجب أن تلبس حتى تبلى وجميع الأشياء طاهرة
وليس ثمة شيء نجس .

واشترك مع جنكيزخان في عدوانه ابنه تولوى الذى اظهر
وحشية فظيعة في معاملة اهل البلاد التى غزاها وخرب مدينة
خراسان تخريبا شديدا وساق اهلها على النحو الذى وصفه احد
العلماء فقال « فساقوهم الى فضاء وراء البساتين كأنهم قطعان
الضأنية تسوقها الرعاة ، ولم يمد التتار ايديهم الى سلب ونهب
الى أن حشروهم الى ذلك الفضاء الواسع والضجيج يشق جلباب
السماء والصياح يسد منافذ الهواء ، ثم امروا الناس ان يكتفوا
بعضهم بعضا ففعلوا ذلك خذلانا فحين كتفوا جاءوا اليهم بالقوس
وأضجعوهم على المدى واطعموهم سباح الارض وطيور الهوا ، فمن
دماء مسفوكة ، وستور مهتوكة ، وصغار على ندى امهاتها مقتولة
متروكة ، وكان عدة من قتل بلسان اهلها ومن انضوى اليها من
الغرباء ورعية بلدها سبعون الفا .

واستطاعت جحافل التتار أن تدخل مدينة اربل في شمال
العراق ، وفي عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م التقى جنكيزخان في سمرقند
بقيادة جيوشه بعد أن دمرت أعظم سور يقف في طريق التتار الى
الشرق العربى ، وبعد ذلك بثمانى سنوات هاجم التتار مدن العراق
وقتلوا كل من يقع في ايديهم من الناس ، وبلغت اعمال التتار
الوحشية أبشع صورها واشنع فظائعها في مدينة الموئسة وهى قرية
بالقرب من الموصل ، اما هولاء حفيد جنكيزخان فانه قاد موجة
الزحف العارم للمغول فاكتمسح اقاليم واسعة من اسيا وحطم كثيرا
من المدن ، واسلمها طعمة للنيران ومحى من الوجود السواد الأعظم
من سكانها ، وكانت الروائح الكريهة تنبعث من الجثث التى كانت
مبعثرة دون دفن فى الشوارع وأراد أن يتخذ « بغداد » عاصمة لملكه
لان تدميرها لم يكن تاما كما حدث فى البلاد الأخرى .

وفي عام ١٢٦٠ كان هولاكو يهدد شمال سوريا وقد استولى هناك على حماة وحارم وذلك بعد استيلائه على حلب التي قيل انه أسلم فيها عددا يقرب من خمسين الفا من السكان الى السيف . ولم يكد هولاكو يفرغ من غزو الشام حتى وضع خطته لغزو مصر وعهد بتنفيذ خطته الجهنمية الى زميله كتيفانوين ، ويبدو ، وفي صباح يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عام ٦٥٨ هـ (٦ سبتمبر عام ١٢٦٠ م) نشبت بين جيوش التتار وجيوش الأمير ركن الدين بيبرس معركة حامية في مكان يقع بين بيسان ونابلس عند قرية عين جالوت ، وكان التتار يحتلون أماكن مرتفعة فانقضوا على المصريين بقوة حتى أوشكت ان تفرقا صفوفهم ، واضطرب نظامهم وكادت تلحقهم الهزيمة ولكن السلطان بادر باستئنف القتال وشن هجومه بقوات القلب وهو يصيح (وا اسلاماه) وايدته قوات الجانبين بعنف وسرعان ما اختل توازن التتار وارتدوا نحو التلال الواقعة على مقربة من بيسان وقتل قائدهم كتبغا خلال المعركة واسر ابنه .

وقد اشترك الملك المظفر قطز بنفسه في هذه المعركة وواجه هجمات التتار المتوالية دون ان تضعف له ارادة ، ولم تضعف روحه المعنوية انتصارات التتار الوقتية ويقال ان الجواد الذي كان يمتطي صهوته سقط من تحته فتنازل له أحد الفرسان من فرسه ومضى يواصل القتال في عزم لا يلين ، وصاح في الجنود « وا اسلاماه » (يا الله انصر عبدك قطز على التتار) .

وحقق الله عز وجل دعاءه فانصر المصريون على التتار وردوا فائلة هذا العدوان الأثيم ، وصدوا هذا الخطر الداهم الذي يترتبض بهم ، وقد نزل السلطان من على فرسه عقب انتصاره ومرغ وجهه الى الأرض وقبلها وسجد لله شكرا على ما أولاه الله من نصر وحمل وأس كتبغا نوين قائد التتار الى مصر ففرح الناس بهذا الفوز العظيم . وهكذا استفاد المصريون من الهزيمة واستطاعوا ان يحولوا النكسة الى نصره ، وطرردوا التتار من ديارهم شر طردة .

الفصل الثالث

طرد الهكسوس

ومن يرجع الى العصر الفرعوني يجد مصر تتعرض لخطر جسيم كذلك الخطر الذى تعرضت له من جانب التتار فى القرن الثالث عشر الميلادى ، واعنى بذلك الخطر خطر الهكسوس عام ١٧٠٠ ق.م . وقد هاجمت جحافل الهكسوس ارض مصر فى اواخر الدولة الوسطى وكانوا مجموعة مكونة من هجرات الشعوب الجبلية الشمالية الهندية والاوربية من اوطانها الممتدة فى اواسط آسيا وحول بحر قزوين ومنها القبائل الكاشية التى نزلت من فوق الجبال الشاهقة التى تحد بابل من الشرق وقد هاجمت هذه القبائل ارض مصر فى عنف وقسوة واستخدمت سلاحا حريبا جديدا لم يكن موجودا من قبل وهو العربة والحصان فبشت الرعب فى قلوب المصريين واثارت الهلع فى صفوفهم ، فقد كان هذا السلاح الجديد يستعمل لأول مرة فى الحروب «»

ورغم هذا كله فان الشعب المصرى هب فى وجه الهكسوس وحاربهم محاربة باسلة ، وليس صحيحا ان الهكسوس لم يجدوا مقاومة من الشعب المصرى لانهم كانوا فى ثورة واضطراب من ناحية كما كان فيهم الوباء من ناحية أخرى . فقد اثبتت الوثائق العلمية ان المصريين قاوموا بعنف هجمات الهكسوس ولم يستنطيعوا الاستمرار فى التوغل فى وادى النيل بعد ان احتلوا الدلتا ومصر الوسطى حتى ملوئ جنوبا وفرضوا الجزية على مناطق الصعيد .

وقد قاد « كاموزة » حملة لطرد الهكسوس من مصر وصاح فى شعبه قائلا : الا فليعلم اهل طيبة ان كاموزة سينقذ مصر ، لن يرتاح قلبى حتى اخرج الى الاسيوى لاصارعه ، وأبقر بطنه ببدى ، ان رغبتى هى تحرير مصر والقضاء على الاسيويين ، سأخرج اليهم بأمر آمون فهو وحده صادق النصيحة .

واستطاع كاموزة ان يحرز الانتصارات الرائعة ضد الهكسوس وذاعت شهرته كما تقول الوثائق كمنقذ لمصر ، وأصبح الجميع يرهبون بطشه حتى ان النساء أصبحن لا يحملن وأصابهن العقم وانهن كن ينظرن اليه من فوق اسطح المنازل ومن النوافذ كما تفعل صغار الحيوانات المفترسة عندما تنظر الى المارين من مفارقتها ، وقد خرج كاموزة من نصر الى نصر واستولى على مئات من السفن التى كانت تحمل النفائس مثل الذهب والفضة واللازورد .

وقد واصل الاخ الاصغر لكاموزة محاربة الهكسوس بعد اخيه وهو « احموزة » وعلى يديه خرج الهكسوس نهائيا من مصر ، وقد اندفع احموزة على رأس جيش كبير الى الشمال وتساقت امامه القلاع والحصون قلعة اثر قلعة وحصنا بعد حصن حتى بلغ « اواريس » وكانت معقل الهكسوس التى يتحصنون بها ويشنون منها غاراتهم على البلاد ، ولم تكذب تبدو طلائع جيش احموزة حتى انقذف الرعب فى قلوب الهكسوس وولى العدو الادبار فسارع احموزة بجيشه اللجب الجرار ولحق بالهكسوس عند حصن فى

جنوب فلسطين يطلق عليه « شاروهين » وكان حصنا ذا منعة عظيمة وقوة جبارة بيد أن هذا لم يصرف احموزة عن مهاجمته وظل يحاصره ثلاثة أعوام كاملة دون أن يتسرب الوهن الى جيشه أو يسرى اليأس في قلبه حتى سقط الحصن في يد احموزة واستطاع أن يقضى قضاء مبرما على غارات الهكسوس الذين تفرقوا في اقاليم الشرق وقد أدركهم الرعب ، واستبد بهم الهلع وهم يجرون اذيال الخيبة والخسران . ولم يطردهم احموزة من مصر بحسب انما طردهم من العالم الشرقى بعد أن أعطاهم درسا قاسيا عنيفا ، ولم تصرفه الانتصارات الوقتية التى أحرزها عن متابعة الكفاح ومواصلة الحرب ، كما لم تصده النكسات التى صادفها بجيشه عن الاصرار على الظفر والانتصار .

الفصل الرابع

من تاريخ أوروبا

ومن يرجع الى تاريخ أوروبا يجد امثلة واضحة جلية تؤكد ان النكسات قد تعقبها الانتصارات وان الحرب مجموعة من المعارك لا معركة واحدة ، وتاريخ أوروبا القديم والحديث حافل بالماذج الحية ، وقد عبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك حين قال : « ان هناك دولا كبرى تعرضت للعدوان الثانى واكتسحها هتلر فى ايام معدودات بيد ان الدائرة لم تلبث ان دارت عليه وخسر الجولة الأخيرة بعد ان كسب الجولة الأولى بانتصارات موقوتة » .

ويقول الرئيس عبد الناصر « احنا مش اول ناس انضربنا » فرنسا انضربت ، انجلترا انضربت ، أمريكا انضربت فى بيرل هاربور ، وروسيا الألمان وصلوا لغاية ١٠ كيلو من موسكو ، احنا مش اول ناس خسروا معركة » .

وبضيق قاتلا « الأمريكان انضربوا في بيرل هاربور وهربوا »
والانجليز مشيوا من دنكرك عريانيين ، كانوا يبطلعوا بقوارب الصيد
وفرنسا وقعت في ١٠ أيام الى واقفين ضدنا النهارده ، وهولندة
راحت في يوم وبلجيكا راحت في يوم ، أوروبا الغربية كلها راحت
وكلنا نذكر الخطب اللي انقالت خطبة تشرشل بعد دنكرك وقال
احنا قوقعة فقدت الغلاف اللي يحميها !! » .

فالمعروف ان هتلر استطاع ان يحرز انتصارات هائلة في أوروبا
بيد ان الدوائر لم تلبث ان دارت عليه ومنى بهزيمة نكراء .

انه في الاثنى عشر عاما التي قضاها هتلر في الحكم لم يحتاج على
ما كان يفعل اى حزب سياسى او ناد او جامعة لانه كهم الافواه
وأخمد الانفاس ولم ترفع طائفة من الطوائف عقيرتها عالية محتجة
على الحرب او على المعاملة الوحشية لليهود او على السيطرة التامة
على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وقد احتج الاساقفة الكاثوليك
ورجال الكنيسة البروتستانتية على تدخل الدولة في شئون
الكنيسة لا على النظام الاجرامى في حد ذاته ، أما تلك الجرائم
الوحشية فقد ارتكبها جنوده الذين أخذت صور بعضهم والسجائر
بين شفاهم المغترية في ناحية ما من بولندة وهم يستقلون مركبة
يجرها عشرة من الشيوخ اليهود ذوى اللحى الطويلة . والذين
ضربوا بالمدافع الرشاشة الهائمين على وجوههم من النساء
والاطفال في طرق فرنسا عام ١٩٤٠ ، والذين احرقوا « لوتش »
واحالوها رمادا وقتلوا الاهالى جميعا ، والذين خنقوا عشرات
الالوف من الاهالى في سيارات شحن موصدة مختومة ، وذبحوا
عشرات الالوف امام قبور اضطروا ان يحفروها بأنفسهم !!

لقد ارتكب النازيون أهوالا في أوروبا تشيب منها الولدان يبت
ان القدر كان لهم بالمرصاد فدالت دولتهم وسقط كما تسقط
أوراق الخريف . ومن المعارك التى عجمت عود هتلر معركة الرين

كيف تم عبور الرين وفقا لخطة موضوعة ، وفي الجنوب عبره القائد باتور . اما في الشمال حيث حشد الألمان جموعهم منتظرين فقد شق مونجورمى طريقه بالمدافع الضخمة والدبابات المائية وبأسطول كبير من الزوارق الصغيرة ، وفي اليوم التالي فاجأ مؤخرة الألمان اعظم جيش حملته الطائرات وقد ملأت طائرات النقل والسباحات اميالا من الجو طبقة فوق طبقة وعلى مدى النظر ، وكان جنود المظلات يهبطون مثل الأوراق المتساقطة ، وانحلت المقاومة الألمانية بعد ذلك وانتهى الدور الحاسم في حرب أوروبا الغربية .

بل ان دهاء هتلر لم ينقذه من الخطة المحكمة التي اتبعها الحلفاء في غزو أوروبا ، فقبل ان يبدأ نزول هذه الجيوش انطلق سرب من الطائرات البريطانية فوق الهائر والقي رجاله عشرات من دمي مصنوعة من خشب تمثل جنود المظلات بمظلاتهم فنزلت تنهاوى في المنطقة التي تحيط بمدينة « فيكاسب » وذهبت طائرات أخرى في نفس الوقت تلقى دمي في منطقة شربورج على يمين البقعة التي تم فيها حقا نزول الجنود الذين حملتهم الطائرات وقد القى مع الدمي قدر كاف من رقائق الألومونيوم لكي يتوهم المكودون من رجال الرادار الألماني ان الهجوم بالمظلات اعظم مما يلوح عشرين ضعفا .

وان التاريخ 'ليسجل ذلك اليوم المشهود الذي ضربت فيه ميناء بيرل هاربور بالقنابل في صورة رهيبة . ولكن ذلك لم يكن نقطة حاسمة في توجيه الحرب واجتلاب الهزيمة ، وقد ضرب الأسطول الأمريكي في بيرل هاربور ضربات قوية فتاكة في ٧ ديسمبر عام ١٩٤١ وكانت الطائرات الأمريكية محشودة في المطارات فسهل قذفها كما كانت يولمّج الأسطول تقريبا في الميناء . وقد أغارت الطائرات اليابانية على الميناء من وراء السحب فوق جبال كولاو التي يبلغ ارتفاعها ٢٨٠٠ قدم في وقت مناسب للهجوم اذ تستطيع الطائرات في مثل هذا الوقت من السنة ان تدنو محتجة بالسحب

الماطرة المتلبدة ثم تبرز فجأة في الجو الصافي فوق بيرل هاربور قبل ان تتمكن الطائرات المدافعة من التحليق في الجو لمقابلتها .

وقد احدثت تلك الغارات دمارا هائلا في بيرل هاربور لا يزال الأمريكيون يرددون انباءه حتى اليوم .

وهناك معركة دنكرك التاريخية التي اشار اليها السيد الرئيس في خطابه يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٦٧ والتي انقضت فيها قاذفات القنابل الالمانية من طراز (شتوكة) المزودة بصفارات مزعجة رهيبة على المدينة الآمنة في صورة مروحة منتشرة الاجنحة تحيط بالميناء من دنكرك ولابان ، لمسافة اكثر من ١٤ كيلو مترا كما اقلت القنابل على السفن الراسية في الميناء ، فتركت البحارة يسبحون في خضم من الزيت والدماء والماء ، وامتدت اليها السنة اللهب فخرج الجنود مجردين من ملابسهم في حالة شديدة من الرعب والفرع تتفتت منها الأكباد ، واخذوا يتلمسون الفرار ، وبلغ عدد القتلى والجرحى نحو ٦٨ ألف جندي خلال الانسحاب من مجموع الجيش البالغ ٣٩٠ ألف جندي .

وخسرت بريطانيا في هذه المعركة اكثر من ٢٠٠ سفينة ، ١٧٧ طائرة ، ولكن هذا كله لم يثن الشعب البريطاني عن مواصلة الكفاح في تلك الآونة الخطيرة وعقد العزم على العمل وبذل العرق والدموع حتى النصر الأخير .

فالأمثلة اذن كثيرة في التاريخ العربي والتاريخ الأوربي ، والأمثلة كثيرة من الانتصار والخصوم ، ومن الأصدقاء والأعداء . فالحرب ليست معركة واحدة وليست مواجهة وحيدة ، انما الحرب سلسلة متصلة من المعارك حتى يعلو صوت الحق ويرتفع صوت الانتصار في المعركة فوق كل صوت ! ؟

الباب الرابع

لكي نسقط الحمامة

الفصل الأول

إعادة البناء العام

لكى نسقط الحمامة ونحط خطتها لا بد أن نتخذ خطوات صادقة امينة في هذا الصدد ونعيد بناء كيانا العسكرى والسياسى والاقتصادى ، ونشلقى اخطاء الماضى ، ونؤمن ان صوت المعركة فوق كل صوت . ونحشد كل قوانا العسكرية والاقتصادية والفكرية على خطوطنا مع العدو لتحرير الارض وتحقيق النصر ، وتعبئة كل جماهيرنا بما لها من امكانيات وطاقات كامنة من أجل التحرير والنصر ، ومن أجل آمال ما بعد التحرير والنصر .

وفى هذا يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى بيان ٣٠ مارس :
« ان المعركة لها الاولوية على كل ما عداها . وفى سبيلها . . وعلى طريق النصر فيها يهون كل شئ ويرخص كل بذل ، مالا كان او جهدا ، او دما ، ومهما كان السبيل الذى نسلكه الى تحرير

الأرض وتحقيق النصر فانه يصبح سبيلا مسدودا بغير استعداد للمعركة » .

وقد استطعنا والله الحمد تعويض الأسلحة التي فقدناها في المعركة وقررنا انشاء وحدات جديدة في الجيش حتى تقابل قوة اسرائيل وجها لوجه ، ولا تكون قوة اسرائيل متفوقة علينا في البر أو في الجو .

ولقد كنا عام ١٩٥٥ نملك مالا لشراء الأسلحة غير ان الغرب رفض ان يمدنا بالسلاح ولكن الاتحاد السوفيتي اليوم يمدنا بالسلاح دون مقابل ودون شروط ودون أى لون من ألوان الضغوط أو الاكراه .

فاعادة بنائنا العسكرى شئ ضرورى بالنسبة الينا ، غير أن المسألة لا تقف عند الأسلحة والمعدات ، والدبابات والطائرات ، وعنصر التكنولوجيا الذى لا يمكن تغافل اثره أو تجاهل خطره ، انما لا بد من تدريب ابناء الجيش تدريبا سليما على هذه الأسلحة ، وبث الروح المعنوية العالية في الجيش ، وهذا ما حدث فعلا فان ابناء القوات المسلحة اليوم يقومون بدورهم في التدريب على أحسن وجه ، وكلهم يؤمن بأن من واجبه المقدس الدفاع عن وطنه حتى آخر قطرة من الدماء ونسمة من الأنفاس .

وابناء القوات المسلحة اليوم قد عرفوا واجبهم حق المعرفة وهم يلتفون حول الرئيس عبد الناصر من كل جانب ويؤيدونه في سياسته .

ان البناء العسكرى ضرورة قصوى من ضرورات المعركة ، ولا ينبغي أن تكون صورة النكسة هي الصورة الماثلة دائما في أذهاننا ، فان هذه الصورة على حد تعبير الأستاذ الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل تكاد أن تكون صورة لموقف معين وغير ملائم وجدت فيه الأمة العربية نفسها في وقت من الأوقات ، والصورة

الفوتوغرافية في حقيقتها هي عدسة التصوير تمسك بلحظة من الزمان وتجمدها ، أى أن الصورة ليست هي الحياة وحركة من حركاتها ، والصورة بعد ذلك تبقى ضمن الذكريات - الحلوة أو المرة - لكن الحياة لا تتقيد بها ولا تظل الى الأبد جامدة عند حركتها العابرة .

وقد ذكر القائد العسكرى البريطانى الشهير المارشال مونتجمرى فى حديث له : لكى تستطيع أى دولة أن تحقق انتصارا عسكريا حاسما على أى دولة أخرى فى هذا العصر الذى نعيش فيه فإنه لا بد من ثلاثة شروط :

— هدف مرغوب فى تحقيقه سياسيا .

— ممكن تنفيذه عسكريا .

— سهل تبريره معنويا عالميا .

وبالنسبة الى العرب فهناك هدف مرغوب فى تحقيقه سياسيا ولا بد أن يكون هذا الهدف ممكن التنفيذ عسكريا ، وهذا ما عملنا عليه وسعينا فى سبيله وقمنا بإعادة بنائنا العسكرى من جديد ، ومواجهة الخصم فى قوة وعزم وإصرار ، وهذا الهدف ما يمكن أن نقوم بتبريره معنويا ، ونحشد جميع طاقاتنا الاعلامية فى سبيل ذلك . كما نقنع الدوائر العالمية والمجتمعات الدولية بعدالة قضيتنا وقوة حقنا . ويجب أن نؤمن بأن المنطقة العربية التى احتلها العدو اكبر من طاقته فى أن يمد نفوذه عليها وأوسع من سلطانه لكى يستمر البقاء فيها ، فان القوة العسكرية مهما ارتفع شأنها وقوى ساعدها لا تستطيع أن تعتمد الى صيانة مطامعها دائما بقوة السلاح فقد عجزت الولايات المتحدة الأمريكية عن حصار الصين بل لقد عجزت عن أن ترد غارات الفيتناميين المتواصلة ، ولم تستطع الوصول الى حل سريع لانقاذ زهرة شبابها من التردى فى مهالك الفيتناميين رغم تلك الأصوات المرتفعة الصادرة من آلاف الأسرى

الأمريكية ورغم تلك المظاهرات الصاخبة ، والمسيرات الففيرة للشعب الأمريكي لوقف حرب فيتنام ؟ !

ولم يستطع ٢٠٠ مليون أمريكي مهما كان لهم من عدة وسلاح أن يفرضوا ارادتهم على ٨٠٠ مليون صيني ، كما لم يستطع أكثر من مليون جندي أمريكي من قهر ١٦ مليون فيتنامي في الجنوب .

فان الكتلة البشرية الهائلة لهذه الشعوب لم تستطع الأسلحة الفتاكة أن تجبرها على الخضوع كما لم تستطع الغارات المدمرة أن تدفعها الى الاستسلام .

وبنفس المنطق العسكري نستطيع أن نقول أن مليوني اسرائيلي لا يستطيعون هزيمة ٨٠ مليون عربي ؟ !

ولكن هذا لا يدفعنا الى الفرور والكبرياء فالروح المعنوية العالية واجبة من أجل تحقيق النصر .

وقد قسم « كلاوزفيتز » الروح المعنوية في الجيش الى الفصيلة العسكرية للجيش والشعور القومي وكفاية القائد .

والفصيلة العسكرية تأتي من المعارك العديدة الظافرة ، والقيادة الماهرة لا تزعزعها عواصف الهزيمة أو يثبطها سوء الحظ .

والشعور القومي هو الايمان الذي يخالط الجند ، وهو ما عبر عنه العلامة «فون درجولتز» بأن لا تقهر الخصم بتدمير وجوده فقط وإنما بآبادة آماله في الانتصار ، أو بما عبر عنه القائد « بسمارك » حينما رأى بقعة من الدهن على غطاء المائدة فقال لأصحابه : كما تنتشر هذه البقعة في النسيج شيئاً فشيئاً ، كذلك ينفذ الشعوب باستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الوطن .

فالروح المعنوية أمر ضروري بالنسبة الى البناء العسكري ، والكيان الحربي وحينئذ نستطيع أن نجعل العمل الذي نقوم به

صلا مسئولا . . ونقدم على المعركة والعمل الذى نقدم عليه يكون مسئولا .

وهذه حقيقة ثابتة يجب أن نضعها نصب أعيننا اذا ما اردنا احباط خطة الحمامة بخذايرها ، ونقضى عليها قضاء مبرما .

واذا ما تحدثنا عن الكيان العسكرى فيجب أن نتحدث عن الكيان السياسى ، وغير خاف أن العدو كان يستهدف الكيان الداخلى فى حرب يونيو ، وكان يريد أن يززع كيان الجبهة الداخلية من أجل تحقيق أهدافه وتنفيذ خطة الحمامة فى العدوان على العرب ولكن زحف الجماهير الجارف يومى ٩ ، ١٠ يونيو أكد أن الاستعمار قد فشل فى خطته وأن الشعب العربى قد التف حول قائده التفاف السوار بالمعصم ، ولم يشأ أن يفرط فيه قيد شعرة ، ولقد قمنا على اثر ذلك بوضع برنامج ٣٠ مارس وأجرينا انتخابات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة على مختلف المستويات دون ضغط أو اكراه ودون أى لون من ألوان القيود أو الايثار .

ولقد كان لا بد لنا أن نفرق بين مصر الدولة ومصر الثورة حتى لا يختلط الأمر فلا نستطيع أن ندرك أخطاءنا ، ونتبين أغلاطنا .

نعم كان لا بد لنا أن نفرق بين مصر الثورة ومصر الدولة وهذا ما حدث فى انتخاب الاتحاد الاشتراكى حيث ظهرت القيادات الشعبية الجديدة جنبا الى جنب مع الوزراء وكبار المسئولين .

وهنا يجب أن نشير الى دور التعبئة الروحية الى جانب التعبئة العسكرية وأعنى بها تعبئة الشباب بالمثل الرفيعة والقيم الفاضلة حتى لا يفقد مبادئه ويشعر انه يسير فى مآهات مظلمة وطرق ملتوية مسدودة ، ومسارب مجهولة فى سبيل الحياة ، وأن التعبئة الروحية ضرورية بجانب التعبئة العسكرية حتى تستطيع

القدرات الخلاقة من الشباب أن تصل الى أعلى مراتب السموات وأسمى درجات الكمال .

ولقد كان الشباب في الآونة الأخيرة يشعر بتمزق شديد ، فجاء بيان ٣٠ مارس وأكد ضرورة الاهتمام بالشباب والعمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية وإتاحة الفرصة أمام الشباب للتجربة .

وكل هذه وسائل تعيد الثقة في الشباب وتدعم البنيان القومي وتهيئ لنا مواجهة الخصم في قوة وثبات ، وتنفيذ خطتنا لاسقاط الحماية في حبكة واحكام . وتكوين الدولة العصرية التي نادينا بها بإدق معاني هذه الكلمة وأوسع مدلولات هذا اللفظ والدولة التي تؤمن بالعلم وتستطيع أن ترد الحياة الى هذا الشعب الأصيل ليسترد أنفاسه اللاهنة بعد النكسة .

الفصل الثانى

عروبتنا أولاً

لكى نسقط الحماة ونحبط خطتها يجب أن نتمسك بعروبتنا ونؤمن بأن هذه الوشيعة عروة وثقى نستطيع أن نقتحم بها الأحوال وننتصر على أعدائنا ونتخطى بها كل الحواجز والعقبات ، ومن أجل ذلك يجب أن نصى خلافتنا ، ونؤمن بالعمل الواحد المشترك . فان ما يطمع اليه العدو المتربص بنا أن يفرق وحدتنا ، ويشتت كلمتنا ، ويفرق صفوفنا .

وعندما نقول أن مصر قطعة من الوطن العربى الكبير لا نقول ذلك على سبيل المجاملة ، ولا نقول ذلك من أجل التقرب أو التحجب ولا نقول ذلك أيضا من قبيل الترسميات حيث اقترح برنامج ٢٠ مارس النص على عروبة مصر فى دستورها المقبل ، انما نقول ذلك على سبيل التأكيد التاريخى والبحث العلمى السليم . ويكفى أن نرجع الى تاريخ الفتح العربى على يد عمرو بن العاص لتظهر لنا هذه الحقيقة جلية واضحة للعيان .

ويقول أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغانى ان بعض بطون خزاعة خرجوا من الجاهلية الى مصر والشام لان قحطا شديدا وجدبا عظيما حل بالجزيرة العربية ، وعندما غزا الفرس مصر وجهزوا حملة قوية لفتح البلاد اشترك في هذه الحملة عدد كبير من العرب عام ٦١٦ م .

ويقول الاستاذ ميلن في كتابه « مصر تحت حكم الرومان » ان جيش الفرس كان مكونا من عدد كبير من القوات العربية ، فلم يلقوا مشقة في حكم مصر اذ ان عددا كبيرا من اثرياء البلاد كانوا ينتمون بصلة القربى الى العرب الفاتحين .

وفي عهد عمر بن الخطاب انتقلت بعض قبائل غسان برئاسة ابي نور بن عامر بن صعصعة الى مصر ، ومنحهم حاكم مصر منطقة من اخصب المناطق لاستيطانها وهي منطقة « تنيس » .

واشترك في الفتح العربى عدد من القبائل العربية من قريش والأنصار ومزينة وخزاعة واشجع وجهينة وثقيف ودوس وليث وعرفوا في مصر باسم اهل الراية اما قبيلة همدان فانها آنست الى منطقة الجزيرة فالقت رحالها بين جنباتها ، وحاول القائد العربى عمرو بن العاص ان يغرى قبيلة همدان الوافدة باستيطان الفسطاط لتدعيم كيائها وجعلها مصدرا للسلطة ومركزا للقوى ، بيد ان همدان رفضت ان تنتقل من الجزيرة فاضطر عمرو بن العاص الى مخاطبة الخليفة في شأنهم فنصحه ببناء حصن في الجزيرة .

وسكن بنو عقبة وهم قبيلة من جذام ما بين ايلة وحوف مصر كما يقول المقرئى فى البيان والاعراب كما توجه قوم من جذام ولخم الى الاسكندرية .

ويقول المقرئى فى كتابه « البيان والاعراب » : « وجهينة اكثر عرب مصر وهؤلاء كانوا يسكنون حول اسيوط ، وما بعدها وفى الفيوم نزل بنو كلاب ومن منية غمر الى زفيتا سكن سعود جذام واكثرهم مشايخ البلاد وخفراؤها ولهم مزارع ، وانتقلت طوائف

من فزارة الى الغربية وقلوب ، وفي الدقهلية سكن عرب ينتسبون الى قريش وسكن حول تنيس ودمياط قوم ينتسبون الى نصر بن معاوية وهم من هوازن وكان لهم شوكة شديدة بأرض مصر » .

فالحقائق التاريخية اذن تثبت عروبة مصر ، التي لا يرقى اليها الشك ، ولا تتطرق اليها الريبة . ولكن الامر لا يقف عند حد « الجنس البشرى » وتوزيع القبائل العربية ، وتقسيم الجغرافيا الجنسية انما هناك تاريخ مشترك ، ولغة مشتركة هي لغة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهناك الكفاح المشترك والنضال المتصل الذي اشتركت فيه الامم العربية جميعا ضد قوى الاستعمار ، فان اعتمادنا في الدفاع عن انفسنا على غيرنا من الاتراك العثمانيين او سواهم ادى الى السيطرة الأجنبية وإلى ضياع استقلالنا ، كما ان تدخل فرنسا عام ١٨٣٠ في الجزائر كان لمساعدة فرنسا ضد محمد علي ، وكان قبول محمد علي واتفاقه مع فرنسا على قيام هذا الاحتلال لنفس الاسباب في المساعدة ضد الباب العالي ، أما قبول السلطان العثماني احتلال الانجليز لعدن عام ١٨٣٩ فانما كان ثمنا لمعاهدة لندن عام ١٨٤٠ التي ردت القوة المصرية الى داخل الديار المصرية كما دخل الاستعمار الغربى الى الشرق العربى على زعم حماية العرب واستخلاص استقلالهم من قبضة العثمانيين حتى ضاع استقلال العرب وقسمت بلادهم طبقا لاتفاقية « سايكس بيكو » بين فرنسا وانجلترا عام ١٩١٦ .

ومن هنا فان التمسك بعروبتنا هو الخلاص لنا من كل سيطرة أجنبية ، فلا يستطيع دخيل ان يمرق الى صفوفنا ، ولا يستطيع خائن ان يقترب من صفوفنا ولا نتيج اى فرصة لتسرب الاستعمار الى ديارنا .

وحينئذ يشند ساعدنا ونستطيع ان نصمد امام اعدائنا ونحبط خطة الحماسة التي لا بد ان تهوى الى الأرض لا حراك بها .

الفصل الثالث

مواجهة الضغوط الاقتصادية

ومن أجل اجباط خطة الحمامة ايضا لا بد لنا من مواجهة الضغوط الاقتصادية عليها في فوة وتبات ، وتحويل اقتصادنا الى اقتصاد حرب ، وتحمل ميزانية الطوارئ بصدر رحب ونفس راضية مرضية ، وسد النقص الذي نحسه في العملة الصعبة من ضغط الاستيراد والاكتفاء بالضرورات القصوى وضغط مصروفات الدولة والتوسع في زيادة الانتاج وتحسينه للتصدير وتوسيع هيكل التجارة الخارجية ، وتحقيق التكافل الاقتصادي بين البلاد العربية واستخدام البترول العربي كسلاح ايجابي في لمسة والاستفادة من عائداته في المشروعات الكبرى ، وتكوين احتياطي من النقد الاجنبي يسمح لنا بحرية الحركة ومواجهة كافة الضغوط المحتملة والحصار الاقتصادي وتكوين احتياطي غير عادي من المواد التموينية وتقليل وضغط المصروفات الحكومية الى ابعد مدى ، واعداد الجماهير لتقبل صنوف التضحية من أجل بناء المرحلة

القادمة ، وتأجيل الانفاق في الخدمات ، والالتزام بالصناعات الاستراتيجية الضرورية للبناء الحربى .
وكل هذه الإجراءات لا مفر منها ولا مندوحة عنها لمواجهة
الخصائر التى أدركت ميزانيتنا والتى حددها المسئولون ومنها
إيرادات قناة السويس ، وإيرادات السياحة ، والخصائر فى الثروة
المعدنية فى سيناء من بترول وفحم ومنجنيز ، فضلاً عن عمليات
تهجير الأهالى كلفت الدولة وزادت الانفاق من أجل مقابلة أغراض
الدفاع القومى .

ولاشك أن كل الخطوات لو تمت استطعنا الصمود إزاء أعدائنا
وبالتالى استطعنا أن ننفذ خطتنا فى إسقاط الحمامة وتدمير تلك
الخطة السرية فى الاعتداء على العرب .

ولقد أثبت الشعب العربى فى مصر أنه قادر على تحمل كثير
من الأزمات فى مناسبات مختلفة ، ومن ذلك أنه استطاع مواجهة
عمليات الاستعمار لتجويع الشعب المصرى وعدم تصدير صفقة
القمح له ، كما واجه عمليات سحب مشروع السد العالى ، ولكن
القيادة الرشيدة استطاعت أن تخرج من هذه الأزمات قوية ثابتة ،
ولم تنجح محاولات الاستعمار فى حرب التجويع ، فان اتفاقية القمح
التي بمقتضاها تباع الولايات المتحدة لنا قمحا قيمته السنوية
ستون مليوناً من الجنيهات تدفعها بالعملة المحلية كانت مدتها ثلاث
سنوات تنتهى فى عام ١٩٦٥ وفى أواخر عام ١٩٦٥ جددت هذه
الاتفاقية ستة أشهر وتقدمنا فى فبراير عام ١٩٦٦ بطلب تجديدها
لضمان الحصول على القمح لستة أشهر أخرى ولكننا لم نلتق رداً مما
جعل مصر تعلن أنها تعتبرها ملغاة .

واستطعنا أن نخرج من الورطة ، ومرت الأزمة بسلام ، ولم
نشعر فى يوم من الأيام أننا لم نجد رغيف الخبز .

وهذه المحن مر بها الشعب العربى على طول المدى بل لقد
حدثت عدة مجاعات فى تاريخ مصر بيد أنها استطاعت التغلب عليها

ومن ذلك ما حدث في عهد كافور (٣٣٤ - ٣٥٧ هـ) حيث انخفض
ماء النيل واشتد القحط ، وانتشر الوباء ، ونذر القمح ، وكذلك في
عهد الخليفة المنتصر لدين الله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) . وتعرف
الشدة التي امتحنت بها مصر في تلك الآونة « بالشدة المستنصرية »
فندرت الفلال وعز القوت وزاد القحط ، وانتشرت هذه المحنة
سبع سنوات وزادت في عامي ٤٥٩ - ٤٦٠ هـ وظل الأمر على ذلك
حتى وفر بدر الدين الجمالي للشعب الطعام والكساء .

وفي عهد السلطان العادل « كتبغا » عام ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م)
توقف النيل ونقص نقصا كبيرا وفات على الفلاحين أوان الزرع
وندرت المحاصيل وزاد الحائلة شدة أن ريحا سوداء مظلمة هبت
على مصر من بلاد برقة حاملة ترابا أصفر كسا الزرع وعمت تلك
الريح أقاليم البحيرة والشرقية والغربية وفقدت المزروعات الصيفية
الآلأرز والسمن والقلقاس وقصب السكر .

وكان الشعب يواجه الازمات بروح سليمة لا تصدعها الاحداث
وتعاون الشعب مع الدولة في رد غائلة هذه الازمات . وفي عهد
الخليفة الناصر محمد أمر نجم الدين محمد بن حسين محتسب
القاهرة وعلاء الدين على بن المرواني والى القاهرة بالطواف معا على
الطواحين والخبازين وأمر السلطان أن ترسل الفلال الى مصر من
دمشق وغزة والكرك والشوبك وأمر الا يباع الارذب من القمح
بأكثر من ثلاثين درهما وطلب الى الأمراء عدم مخالفة ذلك والتشدد
مع المخالفين . حتى قيل أنه عاقب سمسارى الاميرين « قوصون »
و « بشتاك » بالضرب المبرح لبيعهما الخبز بأكثر من السعر الذي
حدده ، وكانت نتيجة ذلك أن خفت حدة المحنة ، واستطاع الشعب
أن يجد قوته في سهولة ويسر ودون جهد أو عناء . ويسمر معقول .

ويقول المقرئى في كتاب السلوك ج ٢ ص ٤٤٦ « وطلب الناصر
الامير « قوصون » بحضرة الأمراء وصرخ عليه : ويلك ! أنت تريد
أن تخرب على مصر وتخالف مرسومى . وسبه ولعنه ، وشهر عليه

السيف ، وضربه على رأسه واكتافه وصاح : هاتوا استنادة « اى قابض المال بالفارسية » فتسارع النقباء لاحضاره ، ومن شدة غضب السلطان صار يقوم ويقعد ويقول « هاتوا استنادة » حتى خرج امير مسعود الحاجب الى باب القلعة ، وارتجت القلعة بأسرها وخاف الامراء كلهم لشدة ما راوه من غضب السلطان ، ثم حضر فطلو استنادة فوصون فامر بضربه بالمقارع ، ثم امر به فبطح بين يديه وضرب ، فلم يتجاسر من بعدها احد من الامراء ان يفتح شوته الا بامر المحتسب .

وهكذا استطاع المصريون ان يواجهوا المحن الاقتصادية التى مرت بهم بثبات وشجاعة ، وضربوا على ايدي العابثين المضللين ، والايدي الخفية والظاهرة التى تعبت باقوات الشعب ، وكان لهم من رؤسائهم والسلف الصالح اسوة حسنة ، فقد روى عن اسلم قال : اصلب الناس سنة غلا فيها السمن فكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يأكل الزيت فيقرقر بطنه فيقول « قرقر ما شئت فوالله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس » .

ثم قال : اكسر عني حره بالنار فكنت اطبخه له فيأكله .

وعن انس قال تقرقر بطن عمر عام الرمادة فكان يأكل الزيت وكان قد حرم على نفسه السمن فقال : فنقر بطنه باصبعيه وقال تقرقرانه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس ؟ !

وعن الحسن رحمه الله قال : خطب عمر في الناس وهو خليفة وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة . . وعن انس قال نظرت في قميص عمر رضى الله عنه فاذا بين كتفيه اربع رقاع لا يشبه بعضها بعضا ، وعن نافع قال سمعت ابن عمر يقول : والله والله ما شمل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ولا خارج بيته ثلاثة اثواب ، ولا شمل ابو بكر في بيته ثلاثة اثواب ، غير انى كنت ارى كساهم اذا احرموا ، كان لكل واحد منهم مئزر ومشتمل لعلها كلها بشمن درع احدهم .

والله لقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يرفع ثوبه ، ورايت ابا بكر يخلل بالعباء ، ورايت عمر رضوان الله عليه يرفع جبته من ادم وهو امير المؤمنين .

هكذا كان يفعل السلف الصالح وهكذا كانوا يواجهون صروف الحياه ، ونحن بطبيعة الحال لا نطلب من الشعب المصرى لكى يسقط الحمامة او يحدو حدو فعال السلف الصالح فى رتق الثياب وترفيعها ، فقد يكون هذا فى العصر الحديث من قبيل السخرية والدعابة ، ولكننا يجب ان نعلن انه لو حتمت الظروف علينا مثل هذا العمل فقد كان شرفا كبيرا بالنسبة الى النبي والخلفاء الراشدين .

ولقد كان ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى الاسبق يعلن اثناء الحرب العالمية الاخيرة عن استعداد الشعب البريطانى الى ارتداء المهل من الثياب من اجل احراز النصر ، ولم يكن يجد غضاضة فى اعلان ذلك على جماهير الشعب الانجليزى الذى كان ينصت لحديث تشرشل وكان على رأسه الطير .

وبطبيعة الحال لم بقرا تشرشل شيئا عما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون بيد انه أعلن فى صراحة ذلك دون حرج .

ونحن والله الحمد لدينا من الامكانيات والموارد الاقتصادية ما يكفينا ويجعلنا صامدين ازاء العدو شهورا بل سنوات ، واذا ما آمننا بهذه الحقيقة الثابتة وخالجت قلوبنا ، فان النصر لابد ان يواتبنا ولا بد ان نحبط خطة الحمامة راسا على عقب ويعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون .

ويكفى ان نقول ان بايدينا سلاح البترول العربى وهو احد الاسلحة فى الاقتصاد العالمى سواء فى الحرب ام السلم لما له من اهمية من ناحية الاحتياطى والانتاج ، فلاحتياطى فى البلاد العربية من البترول قد بلغ ٢١٨٠٩٢٦٥٠٠ برميل بينما بلغ الاحتياطى العالمى

٣٧٢.٥٠٠.٣٨٩ برميل وذلك بالنسبة لعام ١٩٦٦ ومعنى ذلك أن البلاد العربية تحوى في أرضها الطيبة ٥٦٢٧ ٪ من الاحتياطي العالمى لهذه المادة الحيوية ، أما انتاج البلاد العربية فلقد بلغ في العام المذكور ٩٤١٦.٠٠ برميل في اليوم بينما بلغ انتاج العالم في نفس العام ٣٢٧.٠٨٦ برميل في اليوم أى ان الانتاج العربى يمثل ٥٨٨ ٪ من الانتاج العالمى .

فاذا أضفنا الى ذلك انخفاض تكاليف الانتاج في البلاد العربية بالنسبة الى تكاليف الانتاج في البلدان الأخرى اتضحت أمامنا أهمية البترول العربى ، وذلك بسبب ارتفاع معدل انتاج البئر الواحدة من البترول في البلاد العربية وعدم وجود آبار جافة كثيرة في البلاد العربية بالإضافة الى وفرة الأيدي العاملة ورخصتها وارتفاع تكاليفها في العالم الغربى ، وازدياد مقدرة البلاد العربية على التصدير لزيادة الانتاج المطرد فيها في الوقت الذى تعجز فيه مناطق الانتاج الأخرى عن تسويق انتاجها لحاجتها اليه ، وتوفر زيت الوقود بنسبة كبيرة في بترول الشرق الأوسط بعكس الحال في خامات النصف الغربى من العالم الذى لا يحتوى الا على نسبة ضئيلة من هذا الزيت مما جعل معامل التكرير في أوروبا تعتمد على البترول العربى لاحتوائه على نسبة ضئيلة من الأملاح . وهذه الصفة تهدم أى منافسة للبترول العربى .

وقد قرر مؤتمر الخرطوم في أغسطس عام ١٩٦٧ الاستثمار في ضخ البترول ولاشك أن الاستفادة بعائده لها أثر كبير في تدعيم الكيان الاقتصادى للبلاد ، فضلا عن الآبار الجديدة للبترول التى اكتشفت في الدلتا وفي الصحراء الغربية ومن المنتظر أن تقوم بدون كبير في الاقتصاد المصرى .

فمن هنا كان علينا أن نطمئن وتستقر نفوسنا وتقر عيوننا ، ونستعد لمواجهة كل التحديات الممكنة واننا لقادرون بمشيئة الله تعالى على تحطيم خطة الحماة حتى نهوى بها الى الحضيض .

الفصل الرابع

الجهود الاعلامية

عندما حضر السيد عبد الماجد ابو حسبو وزير الاعلام السوداني الى القاهرة عقب النكسة تحدث في راديو صوت العرب من القاهرة وقال اننا قد هزمنا اعلاميا قبل ان نهزم عسكريا .

وقد صدق السيد عبد الماجد ابو حسبو في هذا الحديث ؛ فلم يعد الاعلام اليوم يعنى الاصوات العالية ولا الحناجر المدوية ، ولا العصبية الطاغية ، ولا الالفاظ الطنانة الرنانة انما الاعلام أولا وقبل كل شيء علم له اصوله وقواعده وله مبرراته واتجاهاته ، وقد استطاعت اسرائيل أن تغلب الحقيقة في كثير من الدوائر العربية حتى خرجت بعض الصحف العالمية تتهم الجمهورية العربية المتحدة بأنها هي التي بدأت العدوان ، واطلقت الرصاصة الأولى في المعركة ، ولاشك أن هذا افتراء كاذب ولكننا يجب الا نقف عند هذا الحد من الحديث انما نقول انه كان من الواجب علينا ان نواجهه مثل

هذه الدعاوى الكاذبة سيل عارم من الاعلام السليم حتى لا تتمكن اسرائيل من تسميم جذور التفكير القريب .

وقد ضرب الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل مثلاً حياً من حرب فيتنام في تأثيرها على الراى العام العالمى على امتداد آسيا وافريقيا ، فان الثورة الفيتنامية لم تكن تطلب من اصدقائها الا شيئاً واحداً .

— لا نريد اسلحة ، ولا ادوية ولا تبرعات ، كل ما نريده هو أن نتكلموا عن قضيتنا في الصحف وفي الاذاعات وفي المؤتمرات الشعبية وتكلموا باستمرار وهذا كل ما نريد .

ويضيف هيكل قائلاً : اننا لم نستطع حتى الآن ان نرسم تصويراً لقضيتنا يمكن تقديمه الى العالم الخارجى البعيد . ولم نستطع ان نحمل هذا التصوير الى العالم الخارجى البعيد بلغة مقبولة خصوصاً لدى جماعات المثقفين الذين يتولون الآن قيادة حملة الضمير من اجل فيتنام في كل مكان حتى البيت الابيض الأمريكى نفسه ؟ !

وفي حداثق ماديسون سومير في الولايات المتحدة الامريكية اقامت جماعة الفداء اليهودى المتحدة حفلة انيقة في ليلة ١١ يونيو عام ١٩٦٧ عقب العدوان الاسرائيلى في ٥ يونيو من نفس السنة وتم الاكتتاب في هذا الحفل لصالح اسرائيل واستطاعت الجماعة جمع مائتى دولار في الليلة ، ومما يذكر ان هذا الحفل حضره ليف كبير من نجوم الشاشة البيضاء في الولايات المتحدة الامريكية منهم كلير بلوم ، وكيرك دوجلاس ، وملنيا ميركورى ، وشيللى وينترز وغيرهم .

ويقوم « الهستدروت » وهو الاتحاد العام للعمال في اسرائيل بدور كبير في نشر الدعاية الصهيونية وتقدم جائزة سنوية كبيرة للأشخاص المرموقين في المجتمع الذين يعطفون على اسرائيل

ويؤيدون الحركة الصهيونية ولا يضمنون بجهد في سبيل تدعيمها وتقويتها وقد منحت هيئة « الهستدروت » عددا كبيرا من اقطاب السياسة في الولايات المتحدة الامريكية مجموعة من الجوائز ومن الذين ظفروا بجوائز الهستدروت الرئيس السابق هارى ترومان وباركلى نائب رئيس الجمهورية السابق ، وجورج ميتى رئيس اتحاد العمال الامريكى ، ووليم دولار القاضى بالمحكمة الفيدرالية العليا .

وذكر بن جوريون ، الصهيونى العجوز في أحد تقاريره الى الحكومة ان اسرائيل استطاعت أخيرا ان تجذب بعض زعماء آسيا وافريقيا من الفلبين وكامبوديا وبورما ونيبال والهند ، ونيجيريا ، وغانا ، ومن تنجانيقا وكينيا ، ومن الكونغو وتشاد وساحل العاج ، ومن دول أخرى لدراسة النظم التعاونية والمستعمرات الزراعية والتنظيمات العسكرية والمشروعات الانشائية والحركة العمالية والمؤسسات العلمية .

ويكفى ان نذكر على سبيل المثال لا الحصر لاثبات التغفل الصهيونى في قارة افريقيا ان اسرائيل انشأت في غانا مدرسة للطيران جميع مدرسيها من الطيارين الاسرائيليين ويدرب الانضباط الاسرائيليون القوات الجوية الغانية في معسكر « جيفارو » وهو قاعدة جوية بالقرب من اكرا .

وفي ليبيريا أنشأت خطا ملاحيا بين حيفا ومزترونيا كما أنشأت أضخم وأفخم فندق موجود في المدينة ومعهدا طبيا لعلاج أمراض العيون ، كما أنشأت في نيجيريا شركة اسرائيلية بيجيرية للقيام بأعمال الانشاء والتعمير ساهمت فيها اسرائيل بأربعين في المائة من رأس مالها وشركة أخرى لاستغلال مصادر المياه ، أما في اثيوبيا فقد أنشأت اسرائيل مصنعا لتعبئة البرتقال الاسرائيلى في أسمرة وشركة للاغذية المحفوظة واستخدمت ست بواخر بين مصوع وابلات وأنشأت شركة اثيوبية زراعية لاستصلاح الاراضى وزرعها بالحبوب

والقطن اللازمين لاسرائيل ، وأوفدت بعض أساتذتها للتدريس في الكلية التكنولوجية .

وهدف اسرائيل من تحسين علاقاتها بأثيوبية هو التغفل في أرجاء افريقيا عن طريقها وهو مقصد رئيسي بالنسبة لها . اذ تجد في أسواق افريقيا منطقة خصبة لتصريف منتجاتها وتحسين اقتصادها الذي الحق به الحصار الاقتصادي أشد الضرر فضلا عما أحدثه اغلاق قناة السويس في وجه البواخر الاسرائيلية من خسارة جسيمة لها .

وفي ميدان الاعلام الصهيوني والدعاية الصهيونية شنت اسرائيل حربها على العرب دون هوادة وهناك شبكة من الصحف الاسرائيلية التي تصدر في أوروبا وامريكا نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر جريدة « لانفور ماسيون دي لجانس دي برس جويف » ونوفل جويف مونديال ، وجورنال دي لاكومونيتيه ، وتيرتيروفيه . أما في انجلترا ففيها جويش كرونكل نيوز سيرفس ، وذى جويش تلجرافيك أجانسي وويكلي نيوز دايجست ، وورلد جويش افيرز ، ونيوز فيتشر سيرفس ، أما في ايطاليا فتوجد صحف ويلبيرزمو ، واسبتي اى بروبليمي ، وفي افريقيا توجد صحف ايسست افريكان جويش ريفيو ورودسيا جويش جازيف ، ورودسيا جويش تايمز ، وافريكان جويش نيوز بيبز ، وسوث افريكان جويش فرنثير وسوث افريكان جويش أوبزرفر .

وفي كندة توجد صحف الجويش ديلي ايجل ، وجويش كرونكل ، والجويش ويكلي ، والجويش مجازين .

أما امريكا ففيها عدد كبير من الصحف الصهيونية منها جويش مونيتور ويني بريث مسينجر ، وكاليفورنيا جويش فوبس ، وفالي جويش نيوز ، والجويش ستار ، وناشيونال جويش ، وجويش تايمز ، وجويش بوست ، وجويش ستاندارد في ولاية نيوجرسي ،

وفي نيويورك توجد امريكان هيرو ، وتلجرافيك اجانسي ووكالة جوبش برس وغيرها .

بل ان الدعاية الصهيونية توجه جهودها داخل اسرائيل الى الاقليات العربية ، وتوجد صحف تصدر باللغة العربية ومنها صحيفة «اليوم» وهي شبه رسمية ويصدرها الهستدروت ويشرف عليها حزب الماباي ، وتصدر في مدينة يافا ، وصحيفة « الاتحاد » وهي جريدة يومية شيوعية تصدر في حيفا وتنطق بلسان الحزب الشيوعي الاسرائيلي وجريدة « المرصاد » وقد أصدرها حزب « الماباي » عام ١٩٥١ وهي ترجمة لجريدة « عالمشمار » التي يصدرها الحزب بالعبرية والصحيفة العبرية معناها « الحارس القومي » وهي واسعة الانتشار في دوائر العمل والعمال ولها مكاتب دائمة في واشنطن ولندن وباريس .

كما توجد صحيفة « حقيقة الأمر » وهي اسبوعية وتهتم بشئون العمال بتوجيه من السلطات الاسرائيلية .

وصحيفة « الوسيط » ويصدرها حزب الصهاينة العموم اما جريدة « الحرية » فهي اسبوعية وتصدر عن حزب « حيروت » وتحاول ان تنشر مبادئ الحزب بين الاقلية من العرب .

ولاشك أن المحاولات التي تقوم بها اسرائيل للسيطرة على ميدان الدعاية والاعلام يجب ان تواجه بتيار مضاد من الدعاية العربية والاعلام العربي ، من أجل الوصول الى الابداع العربي الفنى في التعبير عن القضية الفلسطينية وايقار الثورة التنظيمية والتكنولوجية في تحديد صلاتنا بالعالم وابرار الشخصية العربية ودور العرب الحضارى في العصور القديمة والوسطى ، ومخاطبة اليهود بالعقل والضمير وابرار مسئوليتنا تجاه المدنية والسلام واشترائنا في المؤتمرات الدولية الدراسية بتقديم افضل الدراسات جودة ونوعا والاستعانة بالخبراء في ذلك بحيث يكون المسئول عن الاعلام

العربى على اطلاع بصناعة السياسة الخرجية ، والتراث الفكرى والثقافى العربى ، والتيارات الفكرية والسياسية العالمية كما يفهم بخطة اعلامية دقيقة مدروسة لا تسير اعتباطا ولا تنطلق عفوية !

والواقع ان القضية الفلسطينية لم تعد بعد حرب يونيو قضية فلسطين فحسب انما غدت القضية المصرية والقضية الاردنية والقضية السورية . ومن هنا كان خطر مهمة القائمين بالدعاية والاعلام كما اننا يجب ان نفرق بين اليهودية كدين وبين الصهيونية كمذهب سياسى يحاول ان يفزو الشرق العربى كما استطاع ان يتوغل فى بلدان آسيا وافريقيا واوربا والعالم الجديد !

ولابد ان تكون من مهمتنا التنديد بهذه الدعوة الصهيونية بحركة عنصرية تبناها الاستعمار العالمى فجددت مآسى الفاشية والنازية ونكشف النقاب عن النشاط الصهيونى المخرب الارهابى فى العالم فيما يمارسه من اعمال الاغتيال والخطف والتنكيل وما اقترفه ولا يزال من مذابح واسعة النطاق فى فلسطين وخارجها وفضح مسؤولية القوى الاستعمارية فى هذه الجرائم كما يجب ان نميط اللثام عن الانطلاق العنصرى الدينى الذى يقوم به اسرائيل واضطهادها لعرب فلسطين وتحيزها ضد اليهود الشرقيين ذاتهم ووصمها باللادينية ، كل يهودى لا يؤمن بالهجرة اليها وتحريف الدين عن موضعه ، ونشر الوعى بحركة القومية العربية حيث انها قوة تمتد جذورها الى ماض حصارى عميق وتكر التعصب وتناهض تياراته الطائفية والفاشية العنصرية ، واصوله الاستعمارية والصهيونية .

ولعل اول مبدأ يجب ان نتمسك به ونحرص عليه كما اتفق على ذلك خبراء العرب فى المؤتمر الاعلامى فى يوليو عام ١٩٦٧ هو التركيز على وحدة الاهداف والمصير بين أبناء الشعب العربى وتوعية الجماهير العربية بدقائق الوجود العربى وتنبيهها الى الخطر الداهم الذى تمثله قوى الصهيونية المتحالفة مع الاستعمار

وجمع كلمة العرب على العمل الموحد في سبيل تحرير فلسطين والأجزاء المحتلة من الوطن العربي ووقوفهم كتلة واحدة امام أي عدوان يوجه الى أي دولة عربية .

وقد ارتكب الصهاينة في حرب يونيو من الجرائم ما يتنافى مع القوانين الدولية فقد نصت المادة ٢٣ من لائحة لاهاي للحرب على انه ليس للمتحاربين أن يختاروا دون حد الوسائل التي تضر بالعدو ، وعددت اللائحة وسائل العنف غير المشروعة بأنها استعمال أسلحة أو مقذوفات تزيد في آلام المصابين وفي خطورة اصابتهم أو استعمال رصاص متفجر من شأنه أن ينتشر بسهولة في جسم الانسان أو استعمال غازات خائقة أو ضارة بالصحة أو استعمال السموم من أي نوع ، وبأي وسيلة والأجهزة على الجرحى أو قتل من سلم نفسه من الأعداء وأصبح أعزل ، كما تنص المواد ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ من لائحة لاهاي على عدم اطلاق النار على مدن العدو وحصونه الا بعد انذارها وطلب التسليم بشرط الا تكون غير مدافع عنها مع عدم اصابة المباني المخصصة للقيادة والمنشآت الفنية والعلمية والخيرية والمستشفيات .

كما نصت لائحة لاهاي عام ١٩٠٧ على الوسائل المشروعة في الخدع الحربية من أجل الحصول على معلومات عن العدو ، وعن اراضيه ، وكذلك نصت المادة ٣٣ على وسائل الخداع غير المشروعة ومنها التظاهر بالتسليم للعدو حتى يؤخذ على غرة ، واستعمال اشارة الصليب الأحمر لحماية إحدى المنشآت العسكرية أو قوافل المهمات واستعمال ملابس جنود العدو وشاراته حتى يسهل الاندساس بينهم .

وقد نقض الصهاينة هذه اللائحة نقضا مبرما ، وارتكبوا مزج الجرائم والحماقات ما يدينها امام القانون وامام الراي العام العالي ، بل لقد نقضت اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩ في المواد ٣ ، ١٢ ، ١٤ .

١٥ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٢ التى تنص على وجوب العناية بهؤلاء المرضى والجرحى الذين يوجدون فى ميادين القتال من حيث الرافة بهم وتطبيبهم ومداواتهم واسعافهم الاسعافات العاجلة حتى يمكن نقلهم الى المستشفيات . كما نصت لائحة لاهائى على انه لا يجوز اعلان قسم الاقليم المحتل الى الدولة التى احتلته ويبقى الاقليم متسما بسيادة الدولة التى هو جزء منها فى الاصل ولا تنتقل ملكية الاقليم المحتل الى الدولة الغالبة الا باتفاق ضمن الصلح النهائى (راجع مادة ٢٣ من لائحة لاهائى للحرب البرية) .

غير ان اسرائيل لم تحترم هذا النص وأعلنت ضم القدس القديمة الى فلسطين المحتلة بل أعلنت ضم سيناء الى اسرائيل وصبت جام غضبها على الاهلين وامطرت المدن بالقنابل الحارقة ، واستخدمت قنابل النابالم المحرمة دوليا واعتدت على دور العبادة والمستشفيات واقت القبض على شيوخ المساجد والقساوسة المسيحيين وارغمتهم على ترديد عبارات معينة فى خطبة الجمعة او موعظة الاحد ، واتضح من اعتداء واحد على الأردن بأن قنابل النابالم احرقت ٢٠٠ سرير فى مستشفى لوثران بالقدس ، وقدمت كثير من جراء ذلك واصيب الكثيرون ايضا . مما جعل بعض الصحف العالمية تنشر المقالات المستفيضة عن الارهاب الصهيونى ومنها جريدة « الجارديان » التى نشرت تقريراً كتبته مراسلها « مايكل ادامز » تحت عنوان « الارهاب الاسرائيلى للفلسطينيين فى غزة » وصحيفة « الاوبزرفر » التى نشرت مقالا لمراسلها « ايرين بيسون » تحت عنوان « العرب يقولون .. الاسرائيليون يطردوننا من ديارنا » ونشرت صحيفة نيويورك تايمز

مقالا لمراسلها « ترينيس سميث » جاء فيه ان القوات الاسرائيلية
محت قرية من الوجود تماما بعد ان اتهمت سكانها بايواء رجال
المقاومة .

كما اكد اوثانت في تقريره المؤرخ في ١٥ سبتمبر عام ١٩٦٧
الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ان السلطات
الاسرائيلية قامت باعدام مدنيين وتدمير منازلهم بعد توقف
الاشتباكات كما هاجمت المستشفيات كمستشفى الشفا والميدان
والمستشفى العسكرى فى قطاع غزة وقتلت المرضى وبعض الأفراد
العاملين واعتقلت الأطباء .

ولا شك ان كل هذه الأعمال لا يقبلها عقل ولا يقرها قانون
ولا يسمح بها شرف ولا دين ، وكل هذه الأعمال فى نفس الوقت
مادة يمكن ان يستخدمها الاعلام العربى والدعاية العربية فى الدفاع
من القضية الفلسطينية والقضية العربية على السواء ، ودحض
الادعاءات الاسرائيلية وتحطيم خطة الخمامة حتى تسقط ميتة
فوق التراب ؟ !

الفصل الخامس

النصر مع الصبر

أخيرا لكي نسقط الحماسة بل أولا وأخيرا لكي نسقط الحماسة يجب ان نتزود بالصبر والايمان ، والصبر والايمان فضيلتان دعانا الله عز وجل الى التحلى بهما ، فقال تعالت صفاته في كتابه العزيز « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين » كما قال « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » كما يبشر الصابرين بجنت النعيم فيقول جل علاه « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » ويقول « فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل » .

وروى لنا عز وجل قصة طالوت وقاتله لجالوت وكيف أنه استخلص من جيشه الصابرين المطيعين بامتحان قدرتهم على الطاعة والصبر في يوم شديد الحر ظمىء فيه الجند ظمأ شديدا . فمنهم

من الشرب من نهر مروا عليه الا غرفة يد واحدة فأطاع الأمر وصبر،
 هلى الظلمة قلة من جيشه فسار بهم الى قتال جالوت فهالهم ما هم
 افيه من عدة وعدد ولكن ايمانهم وطاعتهم وصبرهم مهد لهم النصر
 على الاعداء فقال تعالى « فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله
 مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فانه منى
 الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم ، فلما جاوزه
 هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ،
 قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
 باذن الله ، والله مع الصابرين ، ولما برزوا لجالوت وجنوده ، قالوا
 ربنا افرغ علينا صبرا ، وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
 الكافرين ، فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك
 والحكمة وعلمه مما يشاء » .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « افضل العباداة انتظران
 الفرج » كما قال « الصبر نصف الايمان » وقال أيضا « ما من عبد
 تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرنى في
 مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا أجره الله فى مصيبته واخلف له
 خيرا منها » .

وروى ابن عباس : كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال « احفظ الله تجده امامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى
 الشدة ، واعلم أن ما اخطأك لم يكن ليصيبك ، وما اصابك لم يكن
 ليخطئك ، واعلم ان النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب وان
 مع العسر يسرا » .

وقال أيضا « ما يصيب المسلم من نصب ولا صب ولا هم
 ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها خطاياها » .
 وهكذا حمد فضيلة الصبر والايمان بالله سبحانه وتعالى
 ورسوله الكريم كما حمدها العلماء والحكماء وقال بعضهم « عند
 انسداد انفرج تبدو مطالع الفرج » . وقال شاعرهم :

واذا مسك الزمان بضر عظمت دونه الخطوب وجلت
وأنت بعده نوائب أخرى سئمت نفسك الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الأمانى فالرزيا إذا توالى تولت

وأعتقد أن اثنين لا يختلفان في ميزة الصبر والإيمان ، ولكن
يجب ألا يتسرب إلى الأذهان أن الصبر معناه الخضوع والخشوع
والارتكان إلى الضعف والاستخذاء وعدم اتخاذ العدة للمعركة
والأهبة للقتال فقد قال تعالى في كتابه العزيز « وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »
أفلاستعداد ضرورى للمعركة والعمل واجب في سبيل إعادة البناء
على أسس قوية ودعائم متينة وقواعد ثابتة !

وينبغى ألا تكون أحاديث الصبر والإيمان وسيلة إلى السخرية
والتهكم أو مدعاة إلى الوصف بالرجعية والتأخر حتى أنى قرأت
لشاعر معاصر قصيدة من الشعر في مجلة الآداب البيروتية ينمى
علينا القول بأن الصبر مفتاح الفرج في عقر ديارنا بينما العدو
يتزود ويتسلح ؟ !..

ولا شك أن نزار قباني ناظم هذه القصيدة متشائم إلى أبعد
الحدود .

- وقد جاء في هذه القصيدة :

يا فتح مرت سنه
ولم يزل خنجر اسرائيل في ظهورنا
ولم نزل نبحت في الظلام عن قبورنا
ولم نزل كالأمس أغبياء
تردد الخرقاء البلهاء
الصبر مفتاح الفرج
ولم نزل نظن أن الله في السماء
يعيدنا لدورنا

ولم نزل نطق ان النصر
وليمة تأتي لنا ونحن في سريرنا
ولم نزل نمضغ ساذجين
حكمتنا المفضله

الصبر مفتاح الفرج
ان الرصاص وحده لا الصبر مفتاح الفرج

فقد رانت على قصيدته سحابة قائمة من الكآبة والحزن ؟
ونحن يجب الاندع هذه التيارات الكئيبة تؤثر في حياتنا ، وتتغلغل
في وجودنا ، فان الاستعداد للمعركة والتهيؤ للقتال ، والحصول على
الذخائر والمعدات يعتبر لا شيء اذا لم تصاحب ذلك كله طاقات
روحية متوقدة ، ومشاعر قومية ملتبهة ، وايمان عظيم وصبر عند
البلاء .

ومن هنا نردد مرة أخرى ان الصبر مفتاح الفرج ولكننا في
نفس الوقت نقول ان ديننا يدعو الى القوة كما يدعو الى السلام ،
وربنا رب العزة وديننا هو القوة ورسالتنا هي رسالة الجهاد ،
وعبادتنا هذه نابعة من صميم ديننا ، ومن واقع ايماننا . فقد قال
تعالى : « سيجعل الله بعد عسر يسرا » كما قال تعالى صفاته
وجلت آلاؤه : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون » .
وعندما نفهم حق الفهم معنى الصبر والابتلاء في الاسلام ندرك
اننا قد وضعنا ايدينا على الخطاة السليمة التي تودى بالحمامة الى
الارض وما من طائر علا وارتفع الا كما طار سقط ووقع ؟ !